سلسلة دراسات وبحوث اقتصادية إسلامية (١)

أسس التنمية الشاملة في المنهج الإسلامي

للأستاذ/ أحمد عبد العظيم محمد

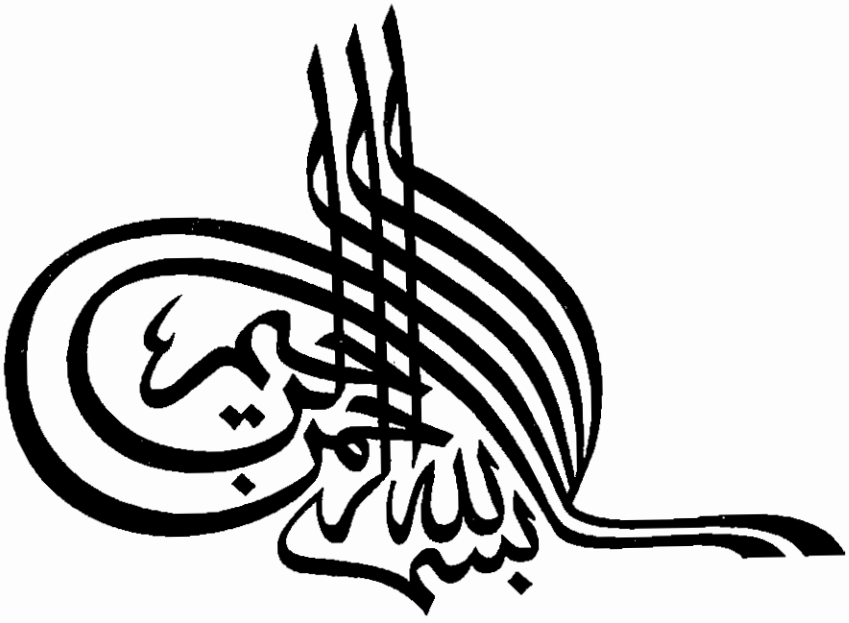
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح أبى . . الذى أثرى عقلى منذ الصغر

بكنوز المعرفة في القرآن الكريم

تقديـــم

التنمية من النمو والنماء أى الزيـادة، وعنـد الاطـلاق العـام يعنـى بهـا الزيادة في الخير، أما عند الاطلاق الخاص – في مجال الاقتصاد – فتعنـى الزيـادة الاقتصادية (الموارد – المنتجات – النمو الاقتصادى – القدرة الإنتاجية – ..) وإذا كان الاقتصاد كعلم وتطبيق يدور حول السلوك الإنساني في مجال المـال أو الموارد بغرض إشباع حاجياته، فإن جانب زيادة الموارد كمظهر للتنمية يتأثر إلى حد كبير بالجوانب السلوكية الإنسانية الأمر الذى لا يمكـن معـه تنـاول التنميـة الاقتصادية بمعزل عن السلوك الإنساني وما يحكمها من قيم وضوابط، ولما كـان الإنسان هو محرر الشريعة الإسلامية التى جـاءت لتنظيـم علاقتـه بـا لله سبحانه وتعالى وبالآخرين من بنى جنسه وبالكون عامة، هـذا التنظيـم الـذى يسـعى إلى تحقيق مصالح الإنسان كمقصود رئيسي للشريعة الإسلامية بما تعنيه هذه المصالح من زيادة الخير، ومن هذا التصور تظهر الصلة وثيقة بـين التنميـة الشـاملة وبـين الإسلام، وهو ما تناولته هذه الدراسة بعنـوان: ﴿*أسـس التنميـة الشـاملة في المنهج الإسلامي*﴾ الذى قدمها الأستاذ أحمد عبد العظيم محمد – الذى تنـاول الموضوع في اطلاله عامة أبرز فيها القيم الإسلامية ودورهـا أو أثرهـا في مختلـف جوانب التنمية الشاملة سواء التنمية الاقتصادية أو السياسـية أو الاجتماعيـة أو الإدارية أو الثقافية، ولقد وثق دراسته بـالعديد مـن النصـوص الإسـلامية قرآنـاً وسنّةً، ومن النصوص الأخـرى في الدراسات الإسـلامية، كمـا تتميـز الدراسـة بالأسلوب السهل البسـيط والمباشـر، ممـا يجعـل الدراسة بحـق مصـدراً للمعرفـة الإسلامية في موضوع التنمية الشاملة وهو ما يهـدف إليـه مركـز صـالح كـامل بنشر المعرفة الاقتصادية من منظور إسلامي، ويشرف إدارة المركز دعوة السادة

التنمية *** والتنمية الشاملة

تعددت المفاهيم التى طرحها المفكرون والكتاب لكلمة *"التنمية"*.. فهى قد تعنى زيادة المنتج من السلع والخدمات، أو زيادة معدلات النمو الاقتصادى، أو زيادة القدرة الإنتاجية، أو تحسين مستوى المعيشة.. الخ

وهى في نظر البعض مرادف للتقدم.. كما أنها في نظر آخرين تعنى التحديث.

وما يهمنا التأكيد عليه هو مفهوم- التنمية الشاملة- بمعنى العملية المقصودة والمخططة التى تهدف إلى تعبأة الجهود المادية والمعنوية لتغيير واقع حاضر إلى واقع أفضل.

ومن هذا التعريف يتضح أن التنمية الشاملة لها جانبان:

.. **جانب مادى:** يتمثل في زيادة القدرات الإنتاجية للمجتمع متمثلة في الأرض والعمل ورأس المال "البناء التحتى للمجتمع".

.. **جانب معنوى:** يشمل القيم والثقافة والتجارب الإنسانية وإنماط السلوك "البناء الفوقى للمجتمع" ومن المسلم به أن التغيير في أى جانب من الجانبين يؤثر في الآخر فإن تحسن الظروف الاقتصادية في مجتمع ما ينعكس على قيم وسلوك هذا المجتمع كما أن ارتقاء الثقافة والقيم في مجتمع آخر يوجه السلوك الإنسانى للعمل والإنتاج بما يرفع من المستوى الاقتصادى لهذا المجتمع.

إلا أنه من المسلم به عند غالبية المفكرين أن البناء المعنوى أهم ويجب أن يسبق البناء المادى وفى هذا الشأن يقول الاستاذ Galprith "أن دولاراً ينفق على التطوير الذهنى للناس يرجع على الدخل القومى بزيادة أكبر من

تلك التى تعود على الدخل من دولار ينفق في خطوط السكك الحديدية[1]".

ومن أنصار هذا المذهب نورثروب Northrop الذى يرى أنه وإن لم يكن التاريخ والحضارات تسير دائماً وفق معتقدات الناس إلا أن مشاربهم الفلسفية والدينية والاقتصادية والسياسية تكون عناصر بالغة الأهمية في مدى تقدمهم بأكثر مما يعتقد الكثيرون[2]، ويؤكد الدكتور (عون الشريف قاسم- السودانى) هذا المعنى فيقول:

"إن التقدم الحضارى ليس شكلاً ولا أدوات يستعيرها الناس فتحدث المعجزة وإنما هو روح تكمن وراء كل هذا الإنجاز المادى والفكرى فاذا تطورت الروح أو تغيرت، تغير العالم من حولها وذلك مصداق قوله تعالى:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[3].

وغاية هذا التغيير أن يتطابق القول والعمل وأن يتحول الإيمان من القلب إلى إنجاز فى واقع الحياة معناه أن يعيش الناس القيم ويطبقوها بدل أن يتحاوروا حولها[4].

من هذا نستطيع أن نتبين مدى أهمية الجانب المعنوى في إحداث التنمية الشاملة بما يشمله هذا الجانب من ثقافة وقيم وأنماط سلوك. ومما

---

(1) راجع:
Galprith/ Economic Development - harvard university press. p.79

(2) راجع ليونارد دوب Sacial Psychology نيويورك ٦٢ ص٨

(3) سورة الرعد الآية ١١

(4) راجع: عصام الدين حواس- إستراتيجية بناء الإنسان المصرى - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠ ص٧٣.

لاشك فيه أن التنمية الشاملة في أى مجتمع تستلزم إحداث تغيير في جوانب الحياة المختلفة في هذا المجتمع.. وهذا التغيير يقابل بالرضا من البعض والرفض من البعض الآخر.. وتلعب القيم السائدة في هذا المجتمع دوراً هاماً في هذا القبول أو الرفض، فبعض هذه القيم إيجابى يتفق مع مقتضيات التطور والتقدم ويدفع إليهما، مثل تلك القيم التى تدعم الإنتاج، وقيم التكافل الاجتماعى، وقيم التعايش السلمى واحترام الإنسان.. الخ وبعض هذه القيم سلبى يقف حائلاً في وجه التطور والتقدم، ومثالها القيم التى تدعو إلى التواكل والمحاباة والطائفية واللامبالاة والنهم الاستهلاكى والتبذير.. الخ.

وما لم توفر إدارة التنمية المناخ الملائم لترسيخ القيم الأصيلة التى تسبغ على المجتمع طابعه الإنسانى وتضفى عليه خصائصه وشخصيته، وما لم تقم بالتأثير على تلك القيم السلبية التى تعرقل التطور والتنمية فإنها لن تستطيع تحقيق أهدافها، وستضيّع كثيراً من جهودها أدراج الرياح.

ومن ثم فإن إدارة التنمية تحقق التوازن بين عاملين قد يتعارضان(*):

الاول: استهداف التغيير وبناء سياساته وتشكيل خططه، وتقييم برامجه ثم وضعها موضع التنفيذ.

الثانى: قيم وأوضاع وظروف المجتمع واتجاهاته، التى قد تتحكم في سياسات التغيير أو تقاومها.

ومن حسن الحظ أن القيم التى تأصلت في البلاد الإسلامية والتى استمدت مقوماتها من القرآن والسنة وهى قيم التقدم والرخاء والإنسانية هى القيم الإيجابية المطلوبة لعملية التنمية الشاملة.

(*) راجع: د. إبراهيم درويش- التنمية الإدارية- القاهرة سنة ١٩٨٢م ص١٢٠.

أما القيم السلبية التى التصقت بهذه الدول من واقع احتكاكها بالمدنيات الأجنبية أو بتأثير القوى الاستعمارية التى سيطرت على معظم البلاد الإسلامية ردحاً من الزمن .. فهى قيم - قشرية - يسهل استئصالها إذا خلصت النوايا وقويت العزائم.

لهذا سنحاول في هذا البحث الوقوف عند تلك القيم الإيجابية وكشف النقاب عنها وإبراز دورها في مجالات التنمية المختلفة وهى:

التنمية السياسية

التنمية الاقتصادية

التنمية الاجتماعية

التنمية الإدارية

التنمية الثقافية

الفصل الأول

القيم الإسلامية والتنمية السياسية

أولاً: ملامح التخلف في النظم السياسية التنموية في العالم الإسلامى.

ثانياً: القيم التى يجب مراعاتها عند التخطيط للتنمية السياسية.

ثالثاً: القيم التى يجب مراعاتها عند اختيار قيادات العمل السياسى.

رابعاً: القيم التى يجب مراعاتها في المؤسسات القائمة على أمر التنمية السياسية.

خامساً: مفاهيم خاطئة يجب اسقاطها في مسيرة التنمية السياسية.

أولاً: ملامح التخلف في النظم السياسية التنموية في العالم الإسلامي

يعتبر البعد السياسى أهم الإبعاد التى تؤثر على حركة التطور إذ أن التنمية السياسية الصحيحة والرشيدة في أى بلد تعتبر هى القطاع القائد والمثرى لكل الناتج الحضارى في ذلك البلد من حيث الثقافة والتعليم ونزاهة الادراة وكفاءتها وسلامة المجتمع وحيوية النشاط الاقتصادى.

وبقدر ما يكون ازدهار الحياة السياسية في مجتمع بقدر ما يكون الازدهار الحضارى في جميع قطاعات هذا المجتمع.

والملاحظ أن معظم النظم السياسية التنموية في العالم الإسلامى تتسم بالتخلف وتعانى من العجز والقصور.

وتتضح ملامح هذا التخلف في عديد من المظاهر نذكر منها:

- عدم الاستقرار السياسى
- ضعف المؤسسات السياسية
- غياب العقلانية في اتخاذ القرارت

أ- عدم الاستقرار السياسى:

يقصد بالاستقرار السياسى درجة مناعة النظام السياسى ضد التغيير بواسطة التصرفات غير القانونية فالنظم المستقرة تتميز بعدم قابليتها للتغيرات غير الشرعية.

وتتضح مظاهر عدم الاستقرار في التغيرات السريعة داخل الحكومات أو تغير الحكومات نفسها بمعدل سريع، والانقسامات داخل الأحزاب السياسية، والعنف السياسى في أشكاله المتعددة:

" مظاهرات -شغب -عصيان -اغتيالات.. الخ ".
بالإضافة إلى الإكراه الحكومى بأشكاله المتعدده أيضاً.
" نفى -اعتقال -سجن -إعدام.. الخ ".

ب- ضعف المؤسسات السياسية:

أدت التطورات السريعة التى حدثت في مجالات الحياة المختلفة إلى انهيار المؤسسات التقليدية التى كانت تستخدم في صنع القرار "الأسرة - العشيرة -القبيلة.. الخ".

وفي نفس الوقت لم تكتمل في البلاد الإسلامية المؤسسات العصرية بالشكل الذى يستطيع إدارة دفة الحياة السياسية (الحزب -البرلمان - النقابات.. الخ).

وهذا الضعف المؤسسى أدى إلى استشراء الفساد السياسى .. ساعد على ذلك ضعف روح الولاء، والصراعات المستمرة على السلطة.

كما ساعد عليه أيضاً غياب الحد الأدنى من الوحدة الفكرية بين القوى السياسية داخل كل دولة من الدول الإسلامية فتحولت خلافات الرأى في معظم الاحوال إلى انقسامات أيدلوجية وانتماءات طائفية ودينية وثقافية أدت إلى إشعال نار الحروب داخل الدولة الواحدة أو بين الدول المتجاورة.

جـ- غياب العقلانية في اتخاذ القرارت:

أدى عدم الاستقرار السياسى وضعف المؤسسات السياسية إلى ضعف ميكانيكية صنع القرار السياسى فعدم الاستقرار أدى إلى فقدان التوازن والتسرع في القرارت وضعف المؤسسات أدى إلى عدم وجود كفاءات قادرة على التخطيط والدراسة الدقيقة للقرارات قبل اتخاذها كما أدى إلى انعدام المشاركة الشعبية في صنع القرارات.

هذه الظواهر مشفوعة بظواهر أخرى مثل عدم وضوح الأهداف ونقص المعلومات أدت إلى غياب العقلانية والرشد في عملية صنع القرار السياسى التى انعكست بدورها على كافة مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. الخ.

ثانياً: القيم التى يجب مراعاتها عند التخطيط للتنمية السياسية

الباحث في مناهج الفكر الاسلامى يرى أن هناك عديداً من القيم الإسلامية يجب على إدارة التنمية وضعها في الاعتبار عند التخطيط للتنمية السياسية في المجتمع إذا أريد لها أن تحقق أهدافها المرجوة ومن هذه القيم:

الشورى

الشورى أصل من أصول الحكم الإسلامى، تقررت بالقرآن الكريم والسنة النبوية وعاشت بالتطبيق الإسلامى في مختلف العصور.

قال الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾[٦].

ويقول تعالى في وصف المؤمنين: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ﴾[٧].

---

(٦) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٧) سورة الشورى الآية ٣٨.

أما السنة النبوية فهى تؤكد أن الرسول عليه الصلاة والسلام التزم بمبدأ الشورى منهجاً وسلوكاً..وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله: لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ.

ومن المعروف تاريخياً أن الرسول ﷺ قد التزم برأى أصحابه في غزوة بدر، وحين اختلف عليه الصلاة والسلام في الرأى مع أصحابه في غزوة أحد فأنه نزل على رأى الصحابة والتزم به.

أما الخليفة الأول للمسلمين أبو بكر رضى الله عنه، فقد ضرب مثلاً أعلى في الشورى ومشاركته أصحابه في اتخاذ القرارات، فحينما رأى قتال من سموا فيما بعد بالمرتدين.. جمع أصحابه وشاركهم في اتخاذ القرار ولم يدخل في هذه الحروب إلا بعد اجتماع الصحابة واقتناعهم برأيه وإقرارهم بهذا الرأى.

وعلى هذا المنهج سار عمر بن الخطاب رضى الله عنه في شئون الدولة ومن أمثلة ذلك أنه حينما رأى عدم تقسيم أرض العراق بين الفاتحين وعارضه الصحابة في ذلك أخذ يناقشهم حتى اقتنعوا برأيه وأقروّه ولم يبدأ تنفيذه إلا بعد موافقة شبه إجماعية من كبار الصحابه رضى الله عنهم.

وهكذا كان شأن حكام المسلمين في مختلف عصور الدولة الإسلامية، وهكذا أرسى الإسلام مبدأ الجماعية في الرأى والمشاركة في اتخاذ القرارت.

وفي هذا يقول الدكتور (منصور أحمد منصور)

كان نظام الشورى في الإسلام ركناً جوهرياً وركيزة من الركائز الإسلامية المتطورة التى يتكون منها نظام الإدارة.. فقد كان الرسول ﷺ يملك السلطة العليا في حسم المسائل والمشكلات العامة، ومع ذلك كان يستخدم مبدأ الشورى عن طريق المشاركة من جانب الصحابة في كافة

الأمور الهامة التى تؤثر على فاعلية الحركة الإسلامية وامتدادها وقدرتها على البقاء، وعلى الأخص صياغة القوانين والقيادة الإدارية والنظم الاجتماعية)[٨].

ولقد سار مبدأ الشورى مسيرة ناجحة عبر سنوات طوال.. ففى عهد الخلفاء الراشدين كان هذا المبدأ هو سفينة النجاة التى قادت الأحداث الإسلامية إلى بر الأمان والاستقرار والانتصارات وفي الأوقات التى التزم فيها حكام المسلمين بهذا المبدأ تحققت لهم السيادة والحضارة والرقى.. ولقد كان عصر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه خير شاهد على ذلك، أما الأوقات التى استند فيها الحكام برأيهم وساروا على أهوائهم فقد كانت هى فترات الانتكاسات في التاريخ الإسلامى ولعل كل هذا يؤكد أن مبدأ الشورى هو الركيزة الأساسية لقيادة الدولة الإسلامية.

التأكيد على العقيدة الإسلامية:

الإنسان المسلم بداخله إيمان فطرى بالله العلى القدير، وإيمان اقتناعى راسخ بوجود قوة عليا تمنحه الطمأنينة والسلام، هذا الإيمان الذى ملأ النفوس الإسلامية يجب أن يكون هو الأساس لأى نظرية سياسية تسعى لتحقيق التنمية في المجتمع.. إذ أن كافة النظريات التى تتعارض مع هذا الإيمان قوبلت بالرفض المطلق ولفظها الجسم الإنسانى في كافة مراحل التاريخ.

---

(٨) انظر د./ منصور أحمد منصور (قراءة في تنمية الموارد البشرية) المقدمة.

الأصالـــــة:

الإنسان المسـلم داخله معايير وقيـم خلقيـة مستمدة من حضارتـه الضاربة بجذورها في الأعماق ومن تراثه الإنسانى الضخم.

وهذه القيم أصبحت تمثل جزءاً أساسياً في تكوينه.. وعليـه فـإن مـن أول الأشياء التى يجب الانتباه لها عند التخطيط للتنميـة السياسـية المحافظـة على الذاتية الحضارية والقيم الروحية .. لقد أكدت التجارب أن تقدم أى شعب من الشعوب لايكمن في النظم وإنما فيما تقوم عليه هذه النظـم مـن قوى أخلاقية وفلسفة روحية.

إن إدارة التنميـة عليهـا تحقيـق معادلـة صعبـة قوامهـا التوفيـق بـين متطلبات التغيير وظروفه وبين قيم وأهداف شـعوبها وصـولاً إلى العصريـة وحفاظاً على الأصالة والتميز.

الصـــــدق:

مهما كان نوع النظام السياسى السائد في المجتمع فإن نجاحه أو فشله يتوقف على مدى ما يتمتع به من صدق.. فـإذا كـان هـذا النظـام صادقـاً ومنطقياً مـع نفسـه ومجتمعـه فإنـه حتمـاً سيحقق أهدافـه .. إن نظريـات التنميـة السياسـية التـى حـاولت خـداع شـعوبها بالشـعارات البراقـة والفلسفات الكاذبة قد سقطت سقوطاً مزرياً- وكما قـال الحكمـاء- قـد تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت ولكنـك لاتسـتطيع أن تخـدع كل الناس كل الوقت.

الإنفتاح على الحضارات الأخرى:

ظروف العصر جعلت العالم أقرب إلى قرية صغـيرة ومـن ثـم أصبـح الانغلاق على الذات مستحيلاً في ظل ثـورة الاتصـالات الحاليـة.. وعلينـا

عندما نخطط للتنمية السياسية في المجتمع أن نفتح عقولنا للحضارات الأخرى وأن نأخذ منها ما يتوائم مع ظروفنا ومجتمعنا وقيمنا.

وكما يقول الكندى (أحد أعلام الحضارة العربية القديمة) "أنه ينبغى علينا أن لانستحى من الحق واقتناء الحق من أين يأتى ولو أتى من الأجناس القاصية والأمم المتباينة لنا فإنه لاشيء أولى بطالب الحق من الحق".

فقط علينا أن نتوخى الدقة فيما نأخذه من الحضارات الاخرى فلا يبهرنا البريق الزائف ولا المناظر الجذابة.

ولقد عبر عن ذلك من قبل (ابن رشد) في كتابه (فصل المقال) حيث يقول:

"إنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك سواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا في الملة أم غير مشارك، وقد ينبغى أن نضرب بأيدينا في كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فإن كان كله صواباً قبلناه منهم وإن كان ما فيه ليس بصواب نهينا عنه"

إن أى نظام تنموى يحاول أن يمنع ريح الحضارات إنما هو واهم، ولذلك فإن النظم التى يكتب لها البقاء هى النظم القادرة على مسايرة روح العصر.. مع الاحتفاظ بالذاتية والهوية الحضارية.

العدالة الاجتماعية:

عند التخطيط للتنمية السياسية يجب التأكيد على الطريق الذى اختصه الإسلام في تحديد وظيفة الدولة وهو طريق الوسطية القائمة على أسس العدالة الاجتماعية.. فلقد فشلت كل الاتجاهات المتطرفة في هذا الشأن إذ أن المذاهب الفردية التى رفضت تدخل الدولة قد أدت إلى استشراء ظواهر الاستغلال للغالبية في سبيل مصلحة طبقة صغيرة.. كما

أن المذاهب الاشتراكية التى تنادى بتدخل الدولة إلى أقصى درجة أدت إلى إهدار قيمة وأدمية الإنسان، لذلك فإن المنهج الإسلامى الذى يمنح الحرية الفردية في العمل والإنتاج ويطالب بتدخل الدولة لمنع حدوث الاضرار أو للقيام بالإعباء التى تعجز عنها الجهود الفردية إنما هو النظام الأمثل الذى يضمن تحقيق العدل الاجتماعى.

ثالثاً: القيم التى يجب مراعاتها عند اختيار قيادات العمل السياسى

حدد الماوردى(١) شروطاً سبعة في كتابه "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" يراها ضرورية فيمن يتولى العمل سواء كان وزيراً أو والياً أو جابياً للصدقات وهذه الشروط تنطبق أيضاً على قيادات العمل السياسى وهى:

١- الأمانة (حتى لايخون فيما قد أوتمن عليه)

٢- صدق اللهجة (حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ويعول على قوله فيما ينهيه).

٣- قلة الطمع (حتى لايرتشى ولاينخدع فيتساهل)

٤- أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء (فإن العداوة تحض على التناصف وتمنع التعاطف)

٥- الذكاء والفطنة (حتى لاتدلس عليه الأمور فتشتبه، ولا تموه عليه فتلتبس)

٦- أن يكون ذكوراً لما يؤديه إلى رئيسه وعنه لأنه شاهد له وعليه.

٧- أن لايكون من أهل الأهواء (فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل).

ويتضح من استعراض تلك الشروط أنها جميعاً تتعلق بالأخلاق الفاضلة والقيم الإنسانية:

---

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية.

وانظر المستشار عمر الشريف (نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية) ص١٢٠.

رابعاً: القيم التى يجب مراعاتها في المؤسسات القائمة على أمر التنمية السياسية

لكى تنجح المؤسسات والأجهزة القائمة على أمر التنمية في المجتمع في أداء دورها وتحقيق الهدف منها وضع الإسلام قيماً عديدة يجب النظر إليها بعين الاعتبار عند تشكيل هذه المؤسسات ومنها:

١- اختيار أصلح من وجد للولاية وإدارة شئون التنمية:

ومقياس الصلاحية في الإسلام القوة والأمانة، يقول القرآن الكريم على لسان "ابنة شعيب"

﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾[١٠].

والإسلام يعتبر مخالفة منهجه في اختيار الأصلح خيانة لله ولرسوله.. يقول صلى الله عليه وسلم: "من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولي رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله"[١١].

ويذكر (ابن تيمية) في كتابه "السياسة الشرعية في إصلاح الراعى والرعيه" أن من الواجب علي الإمام البحث عن المستحقين للولايات من نوابه علي الامصار والقضاه وأمراء الجند ومقدمي العساكر والصغار والكبار والوزراء والكتاب والسعاة علي الخراج والصدقات وغير ذلك من الأموال ..وعلى كل واحد من هؤلاء أن يستنيب ويستعمل أصلح من يجده.

---

(١٠) سورة القصص الآية ٢٦.

(١١) رواه أبو داود وأخرجه الحاكم والبيهقى بلفظ آخر.

٢- استشارة أهل الرأي:

عند تشكيل المؤسسات والأجهزة القائمة على التنمية السياسية يجب على القائمين بالأمر مشاورة أهل الرأى لأنهم أقدر على فهم الأمور واختيار الرجل المناسب للمكان المناسب.. يقول تعالى ﴿ . .وأمرهم شورى بينهم . . ﴾[١٢].

ومن الأمثلة التى تذكر في هذا المجال ما فعله أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين فكر في تولية عمر الخلافة فقد استشار في ذلك كبار الصحابة ولكن عليا وطلحة قالا له: "ماذا أنت قائل لربك؟؟"

قال أبو بكر: "اقول له استخلفت عليهم خير أهلك".

وكان أبو بكر قد استشار فيه عبد الرحمن بن عوف فقال "أخبرنى عن عمر بن الخطاب" فقال عبد الرحمن بن عوف "هو والله أفضل من رأيك فيه".

ثم استشار عثمان بن عفان فقال "أخبرنى عن عمر" فقال عثمان "اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله".

ثم استشار أُسيد بن الحضير فقال أسيد "لايلى هذا الامر من أحد أقوى عليه منه" .. واستشار أخرين مثل سعيد بن زيد وغيره فأجمعوا على صلاحيته[١٣].

---

(١٢) سورة الشورى الآية ٣٨.

(١٣) الطبقات الكبرى الجزء الثالث ص١٢٢.

٣- الطاعة مقابل العدل

وضع لنا الإسلام علاقة متوازنة بين الحاكم والمحكومين، تحدد لكل منهم مسئولياته، وتعطيه حق ممارسة سلطاته.. فهو يفرض على المحكومين طاعة الحاكم ما دام عادلا. فحق الطاعة مقابلٌ لإقامة العدل.

يقول القرآن الكريم: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾[١٤].

ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى ويضع الأمور في نصابها الصحيح فيقول «سيليكم من بعدى ولاة، فيليكم البربره، ويليكم الفاجر بفجره فاسمعوا لهم واطيعوا في كل ما وافق الحق، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم»[١٥].

ويقول عليه السلام «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق»[١٦].

وحينما يقف أبو بكر رضى الله عنه خطيباً في المسلمين بعد توليه الخلافة يقول ضمن خطبته «أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن اسأت فقومونى أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم»[١٧].

---

(١٤) سورة النساء الآية ٥٩.

(١٥) ورد في الصحيحين بنفس المعنى مع اختلاف اللفظ.

(١٦) أخرجه الإمام أحمد عن ابن مسعود.

(١٧) انظر خلف الحسينى - البيان في منهاج الإسلام ص١٧٢.

خامساً: مفاهيم خاطئة يجب إسقاطها في مسيرة التنمية السياسية

١- يسود الاعتقاد لدى الكثيرين في الشعوب التى حصلت على استقلالها حديثاً أن الديمقراطية تؤدى إلى الفوضى والتسيب وأن الديكتاتورية هى الطريق إلى الانضباط.. وأن هناك بعض الشعوب لاتصلح لها الديمقراطية لأنها تعودت على سياسة العصا والمقصلة، وهذا مفهوم استعمارى حاول الاستعمار غرسه في نفوس هؤلاء ليضمن له مكاناً في هذه البلاد حتى بعد رحيله عنها.. وهذا المفهوم يخالف القيم الإسلامية التى ترى أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض وأنه أهل للتكريم مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ ولقد كرمنا بنى أدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات.. ﴾[١٨].

وهذا التكريم الذى جعل الإنسان أفضل المخلوقات لايرضى له أن يكون عبداً يساق بالعصا أو يؤخذ بالقوة.

٢- يسود الاعتقاد لدى أصحاب الفكر القاصر في كثير من المجتمعات التى حصلت على حريتها حديثاً أن الحرية تعنى الخروج عن القوانين والانطلاق إلى أوسع الأفاق دون مراعاة لمشاعر أو حريات الأخرين.

وهذا مفهوم خاطيء يسبب كثيراً من الإضطرابات التى نعانيها في مجتمعاتنا الإسلامية.. والإسلام الذى ضمن الحريات في كل مجالات الحياة قد نظم هذه الحريات وحددها بما يحقق صالح الجميع، لكن البعد عن المنهج الإسلامى قد دفع البعض تحت شعار الحرية إلى اتباع الغرائز

---

(١٨) سورة الأسراء الآية ٧٠.

والشهوات والجرى ورائهما، والانقياد الأعمى للدعوات المتطرفة - شرقية كانت أو غربية - مما كان له دوره المؤثر والخطير في تعطيل مسيرة التنمية.

٣- ساد الاعتقاد لدى بعض العاملين في وسائل الإعلام في كثير من المجتمعات الإسلامية أن حرية الصحافة تعنى تجريح الأشخاص والمبالغة في نشر الجرائم والفضائح وفضح كل العورات التى أمر الله بسترها.. وهذا مفهوم خاطيء لأن القاعدة الديموقراطية تقضى بأنه حيث توجد السلطة توجد المسئولية، وهذه المسئولية تفرض التزام الحقيقة عند النشر والبعد عن انتهاك الأعراض والحفاظ على كرامة الإنسان وأسراره الشخصية وكل هذا مما يحرص عليه الإسلام ويجعل الإعتداء عليه يستوجب العقاب والردع.

٤- من المفاهيم الخاطئة التى تسود كثيراً من المجتمعات الإسلامية التعصب الأعمى للأحزاب والاتجاهات السياسية، وتأييدها ظالمة أو مظلومة.. وتتفاقم هذه الظاهرة بنشر إعلانات التأييد السياسى في الصحف والمجلات بعبارات ملؤها المبالغة والنفاق وخصوصاً للحزب الحاكم ولمن هم في السلطة، ويتسابق في هذا المجال الأفراد والمصالح الحكومية وشركات القطاع العام والخاص، مما يفسح الطريق لمواكب النفاق وهذه عادة مرذولة يرفضها المنهج الإسلامي حيث يجعل الله المنافقين من أشد الناس عذاباً يوم القيامة.. يقول تعالى:

﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا﴾[١٩].

---

(١٩) سورة النساء الآية ١٤٥.

الفصل الثاني

القيم الإسلامية والتنمية الاقتصادية

أولاً: ثروات العالم الإسلامي

ثانياً: حقائق حول مفهوم التنمية الاقتصادية في الإسلام

ثالثاً: منظومة القيم الإسلامية في التنمية الاقتصادية

- إعلاء قيمة العمل
- العدالة في توزيع الثروات
- الحفاظ على الثروات الطبيعية
- تحقيق التوازن بين قوى الاستثمار
- النهى عن أكل أموال الناس بالباطل
- البعد عن السفه
- عدم اكتناز الأموال
- تحقيق التوازن بين الاستهلاك والاستثمار
- اخراج زكاة المال
- تخصيص موارد عامة لانفاق معين
- عدم المغالاة في تحديد الضرائب
- عدم الحصول على الأموال باستغلال النفوذ

أولاً: ثروات العالم الإسلامي

منح الله بلدان العالم الإسلامى ثروات هائلة، لو استغلت الاستغلال الأمثل لحققت أهداف هذه البلاد في التنمية والتقدم.. فهى تمتلك

أولا: إمكانيات مادية ضخمة متمثلة في:

- ثروة بشرية هائلة تصل إلى مليار و٢٢٥ مليون نسمة حسب أقرب الإحصاءات بل وخصوبة بشرية تفوق نسبتها مالدى الشعوب الأوربية وتجعل الأوربيين يخشون من وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب.

- ثروة من المواد الخام تجعل في إمكان العالم الإسلامى أن يصبح قوة صناعية تضارع أرقى القوى.. ويكفى أن قارة من أفقر القارات التى تقطنها أغلبية مسلمة وهى قارة أفريقيا تنتج ٣٠٪ من الإنتاج المعدني في العالم:

٧٠٪ من إنتاج الماس عالمياً
٧٧٪ من إنتاج الذهب عالمياً
٢٥٪ من إنتاج النحاس عالمياً
٣٥٪ من إنتاج الكروم عالمياً
٢٣٪ من إنتاج اليورانيوم عالمياً
٣٠٪ من إنتاج المنجنيز عالمياً
٢٠٪ من إنتاج الفوسفات عالمياً

كما أنها تمتلك:

٩٧٪ من إحتياطى العالم من الكروم
٨٥٪ من إحتياطى العالم من البلاتين
٦٤٪ من إحتياطى العالم من الذهب

٥٠٪ من إحتياطى العالم من المنجنيز
٢٥٪ من إحتياطى العالم من اليورانيوم
١٣٪ من إحتياطى العالم من النحاس

كما تحتوى الصحراء الغربية على ثلثى المخزون العالمى من معدن الفوسفات.

البترول الإسلامى:

تحوى البلاد الإسلامية أكثر من ثلثى المخزون العالمى من البترول ومن أكبر ٣٣ حقل بترول في العالم يوجد ٢٨ في بلاد إسلامية، وحقل الأغوار في المملكة العربية السعودية يحوى وحدة ٦٠ بليون برميل وهو حوالى ضعف مخزون الولايات المتحدة من البترول.

يقول الاستاذ/ باول شمتز في كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية)[٢٠]:

"يوم يقل الإنتاج الغزير لهذا البترول الذى يغزو أسواق العالم اليوم سيمثل البترول الإسلامى حسب التقديرات المتحفظة جداً بعد اكتشاف الحزام البترولى في شمال آسيا رقما لم يعرف بعد ولايستطيع الخبراء التكهن به لأنه قد يفوق كل تقدير، ويجب أن لانغفل عن دلالة هذا التغيير وتأثيره اقتصادياً في مركز العالم الإسلامى على مسرح التبادل التجارى العالمى".

---

(٢٠) باول شمتز كاتب يهودى إستهدف بكتابه هذا تبصير أبناء جنسه إلى عناصر القوة الكامنة في الإسلام حتى يخططوا لإضعافها.
أنظر د./ محمد شامة وتقديم كتاب الإسلام قوة الغد العالمية ص ٥.

- مساحات شاسعة من الأرض الصالحة للزراعة.. السودان مثلاً يمكنها أن توفر ٢٥ مليون فدان صالحة للزراعة، ويمكن أن توفر وحدها للمجتمع الإسلامى ما يكفيه من الغذاء.

- موقع استراتيجى حيوى يجعل في إمكان الأمة الإسلامية التحكم في التجارة العالمية والتحكم في الأسعار عن طريق رسوم المرور والجمارك. بل ويجعل في إمكانها في بعض الأحيان الإمساك بخناق الاقتصاد العالمى.

- رؤوس أموال ضخمة لدى بعض البلاد الإسلامية مودعة في بنوك أمريكية وأوربية تمثل عصب اقتصاديات الدول المتقدمة حتى أن خبراء الاقتصاد العالمى يرون أن سحب هذه الودائع يهز اقتصاد هذه الدول هزاً عنيفاً.

ثانيا: امكانيات معنوية هائلة:

طاقة معنوية كامنة في الإسلام تدفع المؤمن إلى العمل والإنتاج في ظل القوة الإسلامية القادة على تجميع الأجناس البشرية تحت راية واحدة دون تفرقة عنصرية بسبب لون أوجنس أووطن يقول .. شمتز في كتابه الذى سبقت الاشارة إليه:

(إن اتجاه المسلمين نحو مكة - وطن الإسلام - عامل هام من أهم العوامل في تقوية وحدة الاتجاه الداخلى بين المسلمين، وأسلوب يضفى على جميع نظم الحياة في المجتمع الإسلامى طابع الوحدة وصفة التماسك)

- كمٌّ هائل من المعارف الضخمة، والخبرات المتراكمة والقدرات العلمية المتوفرة على الساحة الإسلامية وإن كانت موجودة حالياً بدون تنسيق ولاترابط بينها مما يفقدها فاعليتها رغم أنها نتاج حضارات عظيمة.

- قيم إسلامية كفيلة بالقضاء على عوامل الفساد التى تبدد كثيراً من الثروات في المجتمعات الإلحادية وهى في نفس الوقت قادرة على تكثيف عوامل الرقى والتقدم.

والحديث عن الإمكانيات المتاحة في العالم الإسلامى يحتاج إلى معاجم وقواميس وجهد أعوام لكننا نكتفى بالإشارات السابقة لتأكيد حقيقة هامه خلاصتها.. أن الله قد منح بلدان العالم الإسلامى ثروات ضخمة لو استغلت على الوجه الأكمل لما كانت هناك قوة تفوقها في هذا العالم.. وإذا كان هناك ثمة خلل في اقتصاديات هذه الدول فهو ليس لنقص في ثرواتها وإنما في عدم القدرة على استخدام هذه الثروات أو سوء استخدامها في كثير من الأحيان.

ولنتساءل الآن ما الذى جعل معظم بلدان العالم الإسلامى تفشل في استغلال مصادر القوى الكامنة فيها وتحسب في عداد الدول المتخلفة أو النامية في أحسن الأحيان؟

لقد انقسم العالم الإسلامى في نظامه الاقتصادى إلى قسمين:

أحدهما انبهر بالعالم الغربى ونظر إلى الرأسمالية على أنها النظام الأمثل لتحقيق تقدمه الاقتصادى، وأن أسلوب الحرية الاقتصادية الذى سار عليه الغرب هو الطريق الوحيد للتقدم .. والثانى انحاز إلى الاشتراكية ورأى أنها التعبير الوحيد المعقول الذى يقوم على نظرية علمية متكاملة.. والذى يمكن أن يحقق له وجوده في عالم اليوم.. فماذا كانت النتيجة؟

حينما اختارت البلدان الإسلامية هذه النماذج للتنمية لم تكن هناك مبررات قوية لهذا الانجاز سوى ذلك الوهج الذى يسرق الأنظار والمتمثل في تلك الاكتشافات العلمية، أو تلك المبادئ المظهرية التى تتعلق بالعمل وحقوق العمال والمبادئ الإنسانية.. ولأن الهوى يعمى الأبصار فقد فقدت أبصار قادة المجتمعات الإسلامية القدرة على رؤية عيوب هذه

الأنظمة من ناحية وافتقدت أيضاً القدرة على رؤية مدى ملائمة هذه الأنظمة لظروف وطبيعة وقيم المجتمعات التى يحكمونها من ناحية أخرى.. ولقد كان من نتائج ذلك أن هذه المجتمعات جنت مساوىء هذه النماذج ولم تستفد من مكاسبها .. في الفكر الرأسمالى لايخضع النظام الاقتصادى في جملته الا لمنطق الربح فالإنتاج لاتحدده الاعتبارات العلمية أو الإنسانية وإنما تحدده قوانين السوق (العرض والطلب) ومن ثم فإن القرارت الهامة في جميع الدول الرأسمالية يقوم بها ويتحكم فيها رجال الأعمال، وهم في سبيل مصلحتهم قد يضحون بطبقة أو بشعب بأكمله أو قد يشعلون حرباً في سبيل السيطرة على مقدرات الإنتاج وزيادة حصيلتهم من الأرباح، وفى هذا الفكر تظهر بوضوح التفرقة بين من يملكون وسائل الانتاج وبين من يملكون قوة العمل فالفئة الثانية محرومة تماماً من اتخاذ القرارات وتخضع للفئة الأولى في سلوكها سواء في الإنتاج أو الاستهلاك ومن هنا تظهر قيمة الملكية الفردية وتحتدم الصراعات بين قوى السوق في سبيل السيطرة والتحكم.

وفي ظل الفكر الاشتراكى فإن النظام الاقتصادى يسقط الفرد من حساباته في سبيل المصلحة العامة فالإنسان عمله اقتصادية في سوق الصناعة والتجارة تعلو وتهبط في طبقاتها بمعيار العرض والطلب وبمقاييس الرواج والكساد.. ومن ثم فالدولة هى التى تسيطر على وسائل الإنتاج وهى التى توزع نتاج العمل على الأفراد "كل بحسب حاجته" ولاملكية لأحد.. إذ أن الملكية الفردية هى أصل كل المظالم.

ورغم حداثة الفكر الاشتراكى فإن العالم قد أنقسم في معظمه إلى معسكرين رئيسيين أحدهما غربى ينهج الرأسمالية والآخر شرقى يلتزم بالاشتراكية التى اتخذت صوراً مختلفة وإن كانت متفقة في الأصول.. وهنا بدأ صراع التطور .. والنظرة الموضوعية تؤكد أن عملية التطور في كلا النظامين (الاشتراكى والرأسمالى) سارت بلا هدف محدد سوى الرغبة في

كسب السبق وتحطيم الجانب الآخر، ومن ثم فقد اكتسب هذا السباق جانباً تخريبياً أكثر منه تعميراً وبناء. وانتهى كما نعلم جميعاً بالأنهيار الشيوعي.

يقول الاستاذ رجاء جارودى في كتابه (toute la varite) أو الحقيقة كلها (قيام الشيوعية على هدم المجتمعات التى تخالفها وإيمانها بأن الخير كل الخير في تفكيك أوصالها وتعجيل زوالها حقيقتان لاتقبلان المغالطة ولايكون المتجاهل لهما إلامغرضاً من البداية وهو يدارى الغرض متشيعاً جد التشيع تحت سربال العدل والمساواة)[٢١].

ولقد أدى عدم وجود أهداف إنسانية للنظم الغربية والشرقية فى التنمية إلى أن التنمية لم تتم لصالح البشرية إنما أضرت بالبشرية فى كثير من الإحيان. والمتأمل لما حدث فى الحربين العالميين الأولى والثانية يدرك هذه الحقيقة بوضوح، وما حدث لهيروشيما ونجازاكى وغيرها هو خير دليل على أن التطور الذى حدث ساهم فى هدم الطبيعة والإنسان و لم يساهم فى خلق مستقبل للإنسان.

يقول الاستاذ / رجاء جارودى فى محاضرته بالأزهر الشريف:

(أعظم نتاج العلم والفن فى الغرب ليس فى خدمة الإنسان وفى سبيل تقدمه وتحرره أو لأية أغراض إنسانية ولكنه فقط فى خدمة التنمية كتنمية ولخدمة السيطرة كسيطرة والعنف كعنف)[٢٢].

وبافتقاد الأهداف الإنسانية للتنمية أصبحت تنمية عمياء وتحولت الوسائل إلى غايات و لم يعد العلم والتكنولوجيا فى خدمة الإنسان وإنما

---

(٢١) نقلاً عن أمينة الصاوى "رجاء جارودى وحضارة الإسلام" مكتبة مصر- القاهره ص١٠٤.

(٢٢) المرجع السابق ص١٧٢.

أصبح هو الخاضع لتطورات العلوم والتقنيات الفتاكة وتحت رحمتها، ونتيجة لهذه التنمية العمياء مات خمسون مليوناً من الكائنات البشرية فى العالم الثالث جوعاً سنة (١٩٨٢م) فى الوقت الذى القيت فيه الأطنان من القمح في المياة حتى لاينخفض سعره وفى نفس السنة أنفق العالم ٦٥٠ ملياراً من الدولارات على النفقات العسكرية، ولايزال نصف سكان العالم يناضلون من أجل العيش فى الوقت الذى يمتلك فيه البعض المليارات فى البنوك وينتقلون بطائرات خاصة ويقضون أوقاتهم فى الملاهى والبارات .. وإذا كانت الولايات المتحدة هى النموذج الأمثل للرأسمالية فإن نظرة إلى واقعها تدلنا على - متناقضات الفكر الرأسمالى - فكما تقول الاحصاءات الرسمية فإن أقل من ٢٠٪ من السكان الأثرياء يحصلون على ٤٦٪ من مجموع الدخل فى الوقت الذى يحصل فيه ٢٠٪ من السكان الفقراء على ٤,٦٪ من مجموع الدخل - اليس هذا دليلاً على عدم المساواة حتى داخل المجتمع الواحد؟

ويقدم الاستاذ/ رجاء جارودى فى كتابه (التحول الكبير للاشتراكية) الوجه الآخر للصورة متمثلاً فى الاتحاد السوفيتى المنهار الذى كان يعد النموذج الأمثل للاشتراكية فيقول:

"إن الاتحاد السوفيتى قد عمد نتيجة للرغبة الجامحة فى اللحاق بالآخرين والتفوق عليهم إلى أعمال متتابعة شوهت اقتصاده بالأعباء الجسيمة لسباق الفضاء الذى ينفق فيه أكثر مما تنفقه الولايات المتحدة نظراً لان الدخل الوطنى فيه أقل من الدخل الأمريكى بكثير كما اضطر إلى تراجع أيدلوجى مخيف وبالتالى إلى تخلف رهيب فى تطوير هياكله إلى جانب مفهوم غير علمى وغير ديمقراطى للدولة والحزب ترتب عليه أن اصبح من الصعوبة بمكان تحقيق الإصلاح الاقتصادى"[٢٣].

---

(٢٣) المرجع السابق ص٢٦.

كل هذا يؤكد أن النموذج الاشتراكى- الذى يهدر قيمة الإنسان ويهبط بكرامته ويحوله من مخلوق يسمو بفكره وروحه نحو السماء إلى كائن حيوانى كل همه إشباع المطالب الأساسية التى حددها كارل ماركس بالغذاء والمسكن والإشباع الجنسى -لايمكن أن يتفق مع الأصول الإنسانية الإسلامية ولايمكن أن يحقق أهداف المجتمعات الإسلامية فى الرخاء والتقدم، لأن عدم مراعاة الكرامة الإنسانية وقتل الحافز على التملك مفاهيم مرفوضة فى التنمية الإسلامية.

كذلك فإن النموذج الرأسمالى الذى يضع مصلحة الفرد فوق كل اعتبار ويسمح لطبقة معينة بالصعود والرفاهية على أعناق الطبقات الأخرى فى المجتمع لايتفق مع مبادىء الإسلام التى تدعو إلى العدل والمساواة، ولايمكن أن يصلح للتنمية فى المجتمعات الإسلامية لأنه يقوم على الاحتكار والاستغلال والربا ويطبق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة.

وأمام عدم تلائم هذه النماذج لظروف وطبيعة المجتمعات الإسلامية كان على هذه البلاد أن تبحث عن النموذج الذى يتوافق مع ظروفها والذى يخدم أهدافها والذى لاتشعر فيه بالاغتراب عن واقعها وقيمها .. وكان هذا النموذج موجوداً ومتاحاً فى كل الأوقات، بل وكان مجسداً على أرض الواقع من خلال التجارب التى طبق فيها عبر تاريخ الدولة الإسلامية .. لكن انطماس البصيرة دفع بقيادة العالم الإسلامي إلى التقليد الأعمى للغرب والشرق وكان من نتائج ذلك ضياع الهوية سياسياً، وضياع القيم والمبادئ اجتماعياً، وهذا الخلل الاقتصادى الذى يجعل مجتمعات تملك معظم ثروات العالم تمد يدها فى انتظار المعونات والمساعدات وترضى لنفسها التبعية والتخلف فى سبيل ضمان الحد الأدنى من الحياة. والصورة تبدو مأساوية !!

ومظاهرها تجعل القلوب تنفطر حزناً !!

– انخفاض مستوى الدخل الفردى فى معظم بلدان العالم الإسلامى.. فبينما يزيد متوسط دخل الفرد عن ستة ألاف دولار سنوياً فى الولايات المتحدة الأمريكية، يكاد يقف عند حاجز الـ٥٠٠ دولار فى كثير من بلاد العالم الإسلامى أى مايعادل ١ : ١٢ وهو تفاوت مخيف.. وحتى تلك الدول الغنية بالبترول والتى يصل فيها دخل الفرد إلى نسب عالية لاتمثل ظاهرة إيجابية لأن هذه الزيادة لاتنبع عن زيادة فى الإنتاج وإنما نتيجة الزيادة فى استهلاك احتياطيها من البترول والمواد الخام هذا إلى جانب سوء استغلال هذا الدخل المرتفع.

– انتشار البطالة الحقيقية والمقنعة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى مما يعد تبديداً وضياعاً فى الموارد البشرية .. والعجيب أنه فى الوقت الذى تعانى فيه بعض الدول الإسلامية من البطالة بصورها المختلفة تقف دولاً أخرى فى حاجة ماسة إلى الأيدى العاملة لاستغلال مواردها، وعلى سبيل المثال فإن العمالة السعودية لاتشكل سوى ٩,٥٪ من الأيدى العاملة المستخدمة فى القطاع غير الحكومى بالمملكة هذا فى الوقت الذى ترتفع فيه نسبة البطالة فى دول أخرى يوماً بعد يوم.

– وجود فجوة غذائية فى معظم بلدان العالم الإسلامى .. فهذه البلاد رغم مانمتلكه من مساحات شاسعة من الأرض الزراعية إلا أنها تعتمد فى غذائها على الدول الأخرى .. وحسب ما تقول الإحصائيات فإن أكثر من ٤٠٪ من البلاد الإسلامية تعتمدفى غذائها على الخارج .. وهذه المشكلة خطيرة جداً لأنها مرتبطة بالتبعية، فمن لايملك قوته لايستطيع أن يملك حريته.

– مشكلة الديون الخارجية:

تدخل معظم دول العالم الإسلامى فى عداد الدول المدينة التى تعتمد على رؤوس الأموال الأجنبية فى تمويل عمليات التنمية الاقتصادية، وتصل

جملة القروض التى تحصل عليها هذه الدول إلى ما يقرب من ثلث الدخل القومى، ولو أن هذه القروض تستخدم فى مشروعات إنتاجية لهان الأمر ولكن معظمها يستخدم فى أغراض غير إنتاجية ولسد حاجة الشعوب من المواد الغذائية.

المنهج الإسلامى فى التنمية الاقتصادية:

قبل الحديث عن المنهج الإسلامى في التنمية الاقتصادية وإصلاح المجتمعات الإسلامية يجب التنبية إلى بعض الحقائق الهامة ومنها:

١- الإسلام نظام شامل وهو كل لايتجزء، ولذلك فإن منهجه في الاقتصاد مرتبط بمنهجه السياسى والإجتماعى والثقافى، ولذلك فإن الإصلاح الحقيقى للمجتمع الإسلامى مرتبط بتطبيق الشريعة الإسلامية، ومحاولة الأخذ بجزء من النظام دون الأجزاء الأخرى هو خروج على منطق الإسلام نفسه ولهذا وبخ الله تعالى بنى اسرائيل ووعدهم بالخزى والعذاب لأنهم آمنوا ببعض ما أنزل الله وتركوا مالا يتفق مع أهوائهم قال تعالى:

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾[٢٤].

فالإسلام قد أوجد وسائل كثيرة لعلاج مشكلة الفقر مثلاً ومن هذه الوسائل العمل وكفالة الأقارب والزكاة والصدقات التطوعية والإحسان الفردى وبيت مال المسلمين...الخ لكنه اشترط لنجاح هذه الوسائل أن تطبق في مجتمع مسلم يأخذ الإسلام قلباً وقالباً.. ولقد نجحت هذه

---

(٢٤) سورة البقرة الآية ٨٥.

الوسائل حين طبقت في مجتمعات تعيش الإسلام واقعاً وتجسده أسلوب حياة.. "في عهد عمر بن الخطاب بعث معاذ بن جبل إلى اليمن فبعث إليه معاذ بثلث صدقة الناس فأنكر ذلك عمر وقال: (لم أبعثك جابياً ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترددها على فقرائهم..) فقال معاذ: (ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحداً يأخذه منى) فلما كان العام الثاني بعث إليه بشطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك فقال معاذ: (ما وجدت أحداً يأخذ منى شيئاً"[٢٥]).

في هذا المجتمع كان الإسلام سائداً فكان الجميع يعمل، وكان الجميع محكوماً بالضمير الإنسانى الذى يجعله لايأخذ أكثر من حقه.. فانتصر هذا المجتمع على الفقر وعلى كل مشكلات الحياة وصنعوا حضارة لاتزال مضرب المثل.

٢- حيّن خلق الله الخلق ضمن لهم جميعاً أرزاقهم من بداية الخلق حتى يوم القيامة وجعل في الأرض الأقوات التى تكفى لكل المخلوقات ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها . . ﴾ [٢٦].

ومن ثم فنظرة الإسلام إلى الموارد الاقتصادية تؤكد أنها كافية كماً ونوعاً لمواجهة احتياجات البشر، وليس هناك أى خلل طبيعى في العلاقة النسبية بين الموارد والاحتياجات.. ومن ثم فإن الادعاء بأن زيادة السكان ستؤدى إلى التجويع.. أو أن العالم مقدم على مجاعة بسبب عدم التناسب بين الموارد والاحتياجات هو خروج عن منهج الله، وادعاء في غير موضعه.. وما الاكتشافات التى تحدث في العالم بصفة شبه يومية للمواد

---

(٢٥) يوسف القرضاوى - مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام - ص٤٣.

(٢٦) سورة فصلت الآية ١٠.

الخام والثروات الطبيعية إلا خير دليل على أن الارض غنية بمواردها التى أودعها الله فيها لإشباع حاجات خلقه.أما الخلل الذى نراه حالياً في بعض البلاد بين الموارد والاحتياجات فما هو إلا مرض إجتماعى سببه الأساسى عدم بذل الإنسان الجهد الكافى والمناسب في العمل واستسلامه للبطالة والكسل، ومن أسبابه الأخرى إنعدام عدالة التوزيع في الناتج الاقتصادى .. فبينما يموت الناس جوعاً في مناطق معينة تلقى كميات ضخمة من القمح في البحر في بلاد أخرى حتى لاينخفض سعره.. مما يؤكد أن ما يحدث ليس خللاً بين الموارد والاحتياجات وإنما الخلل في توزيع هذه الموارد وفق الاحتياجات.

٣- التنمية في المفهوم الإسلامى فرض وعبادة.. فهى ليست مجرد سلوك اقتصادى وإنما هى وسيلة لإرضاء الله سبحانه وتعالى وعليها تتوقف العبادات الأخرى فالمسلم إذا لم ينتج قوته وما يكفى حاجته فلن يستطيع القيام بالعبادات الأخرى، بل لاخير في صلاة العبد أو صيامه إذا كان عاطلاً أو عالة على غيره ومن ثم فان مفهوم التنمية في الإسلام له جوانب نفسية واجتماعية وأهداف حضارية بعيدة المدى.

٤- التنمية الاقتصادية في الإسلام لها هدف أساسى وهو تحقيق التوازن بين مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد بقصد تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا وتمكينه من أداء الهدف الاساسى الذى خلق من أجله وهو عبادة الله سبحانه وتعالى.. وعليه فإن الوسائل التى توصل لتحقيق هذه الغاية يجب أن تكون وسائل نبيلة وهذه هى الميزة الحقيقية للتنمية الإسلامية.

لقد فشلت نماذج التنمية الشرقية والغربية لأنها افتقدت الهدف، ولأنها جعلت الوسائل أهدافاً في حد ذاتها.

يقول الاستاذ رجاء جارودى في محاضرته بالأزهر الشريف[٢٧]:

"الإسلام الخالد يمكنه اليوم أن يغزو العالم برسالته لأنه يعطينا الإجابة على تلك الاسئلة التى تجول بخاطرنا في هذا العصر:

- السؤال الذى يراودنا ماذا بعد هذه التنمية العمياء للعلوم والفنون؟

- السؤال الذى يراودنا ماذا بعد هذه الزيادة العمياء للشعوب والدول؟

بدلاً من أن نحول عالم الأشياء والمخلوقات إلى أحداث وقوانين فالإسلام يذكرنا بضرورة البحث عن هدف ومعنى أولاً.. فهذا الإنسان الغربى الذى يكرر السؤال عن الكيف ويتناسى السؤال عن السبب سنحاول أن نذكره أن التكنيك للتكنيك والعلم للعلم يؤدى إلى العدم، وأن الحياة من أجل لاشيء هى الانتحار البطيء للكوكب كله وأن هذا كله يأتى من نسيان تبعية الأساليب ونسيان الأبعاد الروحية للحياة.

هكذا يمكننا بالإسلام أن نبين ضرورة المعنى والسمو ونذكر الخالق العظيم.

هذه هى بعض الحقائق التى أردت أن تكون واضحة للأذهان قبل الحديث عن منهج الإسلام في تحقيق التنمية الاقتصادية والذى يرتكز على منظومه من القيم والمقومات الأساسية.

---

(٢٧) راجع رجاء جارودى وحضارة الإسلام مرجع سابق ص١٨١.

ثانياً: منظومة القيم الإسلامية في التنمية الاقتصادية

أولاً: إعلاء قيمة العمل:

الإسلام يدعو إلى العمل والإنتاج ومحاولة الوصول في ذلك إلى أعلى المعدلات وبعض المفكرين الإسلاميين يرون في قوله تعالى:

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[٢٨].

أن تأدية الأمانة بالنسبة للعامل تعنى قيامه بما كلف به وانجازه ما تعاقد مع الدولة والجماعة على إتمامه، وهم في هذا يرون أن من لايقوم بواجبه خائن ولا إيمان له، تطبيقاً لحديث الرسول عليه السلام "لاإيمان لمن لا أمانة له"[٢٩].

والإسلام يدفع الناس دفعاً إلى العمل وزيادة الإنتاج والتمتع بالطيبات التى أحلها الله.

يقول تعالى:

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[٣٠].

ويقول ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾[٣١].

---

(٢٨) سورة النساء آية ٥٨.

(٢٩) رواه الإمام أحمد.

(٣٠) سورة الجمعه آية ١٠.

(٣١) سورة البقرة الآية ١٩٨.

ويقول ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾[٣٢].

والإسلام في دعوته هذه يضع سياجاً من القيم والمبادئ والأخلاقيات تضمن أن تكون الدعوة في صالح الإنسانية وعلى النهج القويم..

- مشروعية الوسائل:

فالإسلام وهو يدعو إلى العمل وزيادة الإنتاج يشترط أن تكون الوسائل مشروعة يقول الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[٣٣].

ومن ثم فلا تسخير ولا استغلال ولا إهمال للجوانب الإنسانية في العمل ومبدأ المشروعية يحدد ما يمكن إنتاجه، ومالا يمكن إنتاجه، وما يمكن إشباعه وما لا يمكن إشباعه فلا فائدة في زيادة إنتاج يضر بالمجتمع حتى ولو كان يحقق عائداً اقتصادياً.. (إنتاج الخمور مثلاً).

إن الميكافيلية والدعوة إلى أن الغايات تبرر الوسائل هي دعوة مرفوضة في الفكر الإسلامي لأنها محاولة مكشوفة لتقنين المعصية وقتل القيم وإذا كان الساسة والحكام في الغرب يفعلون ذلك فإنما يفعلونه وهم يعلمون أنه مخالف لما ينبغي أن يكون.. لأن الغايات العظيمة يلزم للوصول إليها وسائل شريفة.

وإذا كانت زيادة الإنتاج كهدف أسمى للحضارة المعاصرة تتطلب القضاء على كيان الأسرة وسحب الآباء والآمهات إلى دوامة العمل وترك

---

(٣٢) سورة يوسف آية ٥٦.

(٣٣) سورة المائدة الآية ٢.

الأبناء بعيداً عن الرعاية يرضعون الحياة المتشردة ويمضون إلى المستقبل محملين بمشاعر الفردية والأنانية والقسوة والتنافس على الماديات فهذا مالا يرضى الله ولا رسوله ولا المؤمنين عملاً بالمبدأ الإسلامى "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح" ومن ناحية أخرى فإن زيادة الإنتاج في مجتمع ما على حساب المجتمعات الأخرى مثل ما يحدث من بعض المجتمعات الغربية في عملية التبادل غير المتكافئ للسلع والخدمات التى تؤدى إلى الافتقار المادى والمعنوى للدول غير الصناعية بالحصول على ثرواتها ومواردها الطبيعية بأبخس الأثمان وإعادتها لها في شكل صناعات غالية الثمن هو أيضاً خروج على مبدأ المشروعية الذى تحتمه الشريعة الإسلامية.

ويطلق الأستاذ "رجاء جارودى" على عملية التبادل غير المتكافئ تلك تعبير "نهب الثروات المادية والإنسانية" فيقول:

"منذ قرون خمسة يسيطر الغرب على العالم بدون شريك وقد فرض نموذجه للتنمية ومنهجه الثقافى أيضاً -ويتطلب نموذجه للتنمية أن تنهب كل الثروات المادية والإنسانية التى تمتلكها كل الشعوب لفائدة الغرب وحده أى ما يعادل خمس سكان الكرة الأرضية.. ولذلك فالغرب ينتج أى شيء وبكميات كبيرة وفي وقت سريع سواء أكانت مفيدة أو مؤذية أو حتى سيئة كالأسلحة المدمرة التى أصبحت سوقاً لاينضب معينه أبداً"[٣٤].

كما أن المنهج الإسلامى في العمل والإنتاج يرفض ذلك الإستهلاك العشوائى للطاقة ومصادر الثروة، وإهدارها في منتجات لاتخدم الأهداف الإنسانية دون حساب للأجيال اللاحقة.

---

(٣٤) من محاضرة د./ جارودى بالأزهر الشريف - ترجمة د./ رجاء ياقوت.

وماقد يحدث من رخاء وقتى، نتيجة هذا الإستهلاك العشوائى سيكون على حساب الأجيال القادمة التى سوف تدفع الثمن غالياً...

- تقدير أهمية العمل البشرى:

يؤكد ابن خلدون في مقدمته أن الطيبات أو السلع ليست إلا نتيجة للعمل الإنسانى.. لأن المصدر الوحيد لكل ثروة حقيقية هو العمل الإنسانى، لكنه يضيف أنه لابد من التعاون بين طاقات العمل لتحقيق زيادة الإنتاج حيث أن الرجل الفرد لايمكن أن يصل إلى إشباع حاجاته الدنيا وحده بينما جملة رجال مجتمعين ينتجون أكبر بكثير من احتياجاتهم الأساسية.

ومن ثم فهو يرى أن تركز السكان في مجتمع ما يؤدى إلى ارتفاع مستوى المعيشة، لأن ناتج العمل الجماعى يتجاوز دائماً الحاجات الأساسية للعمال.. وعندما تشبع الحاجات الأساسية فإن الفائض يمثل بالنسبة لهذا المجتمع رأس مال متراكم.. وهو يصل في النهاية إلى القول بأنه كلما كانت المجتمعات عامرة بالقادرين على العمل كانت حضارتها أقوى وأعظم.

ثانياً: العدالة في توزيع الثروات:

إنطلاقاً من غريزة حب التملك التى فطر الإنسان عليها أباح الإسلام للناس أن يتملكوا ما وسعهم التملك، وأن يمتلكوا الثروات الطائلة ما دامت من مصدر حلال ويؤدى فيها حق الله وحق العباد..ولقد كان من أصحاب رسول الله ﷺ من هو واسع الثراء إلى درجة تجهيز جيش أو التصدق بألف راحلة، ولم يكن ذلك مصدر اتهام وانكار عليهم.

أما ما ينكره الإسلام ولا يقره أن تتركز الثروات في أيدى فئة قليلة حتى تصبح القلة تملك كل شيء والكثرة تموت تحت وطأة الفقر والحاجة

والاستكانة لأرباب الثراء الذين يستغلون حاجة الفقراء فيستخدمونهم بأبخس الأثمان ويستذلوهم تحت تأثير الحاجة والاضطرار.

هنا.. يتولد الحقد وتنمو البغضاء.. ويتفكك المجتمع.. فإذا وصل الأمر إلى هذا الحد كان من الواجب شرعاً أن يتدخل ولى الأمر لوضع بعض الضوابط التى تقضى على هذا الشر.. لأن الله سبحانه وتعالى قد أمر بأن يكون المال مقسوماً بين الناس جميعاً وليس متداولاً بين الأغنياء فقط.

يقول تعالى ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾[٣٥].

هذه الآية وإن كانت (في الفيء) إلا إنها تدل على أن تداول المال بين الأغنياء فقط أمر كريه بغيض.. ومما فعله رسول الله ﷺ لعلاج مثل هذه الحالة أنه صلى الله عليه وسلم -حين قسم الأموال التى تركها بنو النضير بعد جلائهم وإخراجهم من المدينة لم يجعل للأنصار منها نصيباً سوى لاثنين ظهر لرسول الله ﷺ فقرهما وذلك لأن الرسول ﷺ حين قدم المدينة كانت الثروة العامة ممثلة في الأرض الزراعية في يد الأنصار.

وقد أجاز بعض الفقهاء لأولى الأمر في حالة الضرورة ودفعاً للضرر أن يضع حداً مطلقاً يتناول جميع أنواع الممتلكات -كملكية الأرض مثلاً- وطاعته تجب بإعتباره أمراً يقوم عليه النظام وتضطرب بمخالفته الأحوال على أنهم اشترطوا في ذلك أن يكون ولى الامر مجتهداً أو رجع في ذلك إلى رأى مجتهد حتى يكون أمره هذا مستنداً إلى دليل شرعى..

---

(٣٥) سورة الحشر آية ٧.

ويشمل هذا التحديد المقدار والآثار، ويجب عليه في هذه الحالة أخذ الزيادة من الملاك واستخدامها في المصلحة العامة، بمعنى أن ما يؤخذ يكون ملكاً للأمة شأنه شأن ما يجبى من الأموال العامة.

وهذا التصرف الذى يقوم به ولى الأمر لايمثل اعتداء على حق المالك لأنه أخذ بحق - وقد حدث مثل هذا في التاريخ الإسلامى مرات عدة - فلقد أمر رسول الله ﷺ بقلع نخل "سمرة بن جندب" دون مراعاة لحقه في حماية ملكه حين اتخذ ابن جندب هذا النخل وسيلة للإضرار بغيره وأبى بيعه أو هبته.. كما شاطر عمر رضى الله عنه بعض ولاته حين جاءوا بأموال لم تكن لهم.. ففعل ذلك مع أبى هريرة حين ولاه على البحرين.. وفعله مع عتبة بن أبى سفيان إذ ولاه على كنانة فقدم عليه بمال فقال له عمر يا عتبة ما هذا؟

قال: مال خرجت به وابتجرت فيه

قال له: لم تخرج هذا المال معك في هذا الوجه؟

ويستند الدفاع عن حق الملكية الخاصة إلى مبررات موضوعية مؤداها أن الحافز على الإنتاج يكون أقوى في ظل نظام الملكية الخاصة عنه في ظل نظام الملكية الجماعية.. من ناحية أخرى فإن الملكية الخاصة في رأى البعض - تؤدى إلى سوء توزيع الدخل والثروة واستغلال القلة لجهود الكثرة - لذلك فإن الإسلام يحاول خلق نوع من التوازن بإباحة الملكية الخاصة في الإطار الذى يخدم المجتمع، فإذا كان المالك يحسن استخدام ما يملك، ويدفع ما عليه من زكاة ويخرج منه الصدقات وينفق فيما أحل الله فلاحق لأحد في أن ينقص من ملكيته شيئاً أما إذا ساءت الأخلاق، وترك الأغنياء ماعليهم من حقوق نحو الفقراء، وأخذت الملكية طابع الاحتكار أو استغلال جهود الأخرين، كان من الجائز لأولى الأمر التدخل لنزع الملكية وإعادة توزيع الثروات بما يخدم مصالح المجتمع والناس.. إذ أن

المفهوم الإسلامى العام هـو أن كـل شـيء ملـك لله سبحانه وتعـالى وأن الإنسان مستخلف فيما يملك لإدارته بما يخـدم الصـالح العـام فـإذا تحولـت الملكية إلى ملكية احتكارية وجب نزعها.. يقول عليه السلام:

«إذا جاع مؤمن فلا مال لأحد»[٣٦].

وقد خلق الله سبحانه وتعالى ما على سطح الأرض للإنسان لتكـون ثمراته ومنافعه مباحة لجميع البشر.. لكل منهم ما يسد حاجته وما تقوم به حياته في إطار العدالة.

يقول الله تعالى: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكـم ما فـي السماوات وما فـي الأرض وأسبغ عليكـم نعمه ظاهرة وباطنة . . ﴾[٣٧].

ويقول الرسول ﷺ:

«الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار»[٣٨].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قلـت يـا رسـول الله مـا الشـيء الذى لايحل منعه قال: الملح والماء والنار.. وألحق الشافعى رضـى الله عنـه بذلك ما يوجد في الأرض مما ترى منفعته باديـة وفي متنـاول مـن يطلبهـا، دون جهد منه أو عمل من كـل معـدن ظـاهر كـالذهب والتبر وغيرهـا، والنبات والماء مما لايملكه شخص معين ولا يحتاج في إظهـاره وإدراكـه إلى مؤونه، فإن الناس جميعاً يكونـون في ذلـك سـواء لايختـص بـه واحـد مـن الناس بإحياء أو إقطاع من ولى الأمر.. قال الشافعى[٣٩]: (ومثل هذا كلـه

---

(٣٦) رواه مسلم وأخرجه أبو داود بلفظ "إذا بات مؤمن جائعاً فلا مال لأحد".

(٣٧) سورة لقمان الآية ٢٠.

(٣٨) رواه أحمد وابو داود

(٣٩) الأم جـ٣ ص ٢٦٥.

عين ظاهرة كنفط أو قار أو كبريت أو حجارة ظاهرة في غير ملك لأحد، فليس لأحد أن يحتجزها دون غيره ولاسلطان أن يمنعها لنفسه أو لخاص من الناس).. من هذا يتضح أن كل الموارد الطبيعية هي في أصلها ملكية عامة وأن تخصيصها لدولة بذاتها أو فرد بعينه مقتصر على مدى الجهد المبذول في إستخراجها والاستفادة منها.

ثالثاً: الحفاظ على الثروات الطبيعية

لم يخلق الله الموارد الطبيعية لتكون حكراً على أحد دون أحد أو دولة دون دولة، وإنما سخرها لكل مخلوقاته وأمرنا سبحانه بأن نحافظ عليها ونحميها من التبديد والضياع ومن الاعتداء والاغتصاب، وأن يتم استخدامها فيما يعود على البشرية بالخير والرخاء.

يقول تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۞ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ۞ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۞ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون ۞ وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾[٤٠].

إن الإنسان وفقاً للمنهج الإسلامي هو المكلف بالحفاظ على الخيرات الطبيعية وتحقيق الاستفادة القصوى منها والحفاظ على توازن العالم في هذا

---

(٤٠) سورة النحل الآيات من ١٢ -١٦.

الاتجاه.. فبدلاً من الاستهلاك العشوائى للطاقة الذى نراه حالياً والإهدار فيها في منتجات لاتخدم الأهداف الإنسانية علينا أن نحسب حساباً للأجيال اللاحقة، وأن نحاول البحث عن مصادر جديدة للطاقة أو أن نعود إلى نبع الطاقة الذى لاينضب والمتمثل في المياة والبحار والشمس والأرض والريح.

ويرى المالكية في أشهر أقوالهم[٤١]: أن ليس شيئاً من المعادن في مناجمها مالاً مباحاً حتى يتملكها من يستولى عليها وإن كان استيلاؤه عليها لم يحدث إلا بعمل قام به أو بنفقه أنفقها في سبيله.. وإنما هى ملك للمسلمين جميعاً نتيجة قيامهم على ما وجد فيها قيام ولاية وحماية ولاتعد تابعة لأرضها مملوكة لصاحبها نتيجة لتملك أرضها.. الخ.

أما ما يحتاج إلى عمل ومؤونة في إظهاره واستخراجه فإن منفعته تكون لمن كان ذلك منه بما استحدثه من مال.

ووفقاً لهذه المفاهيم فإن نظام الاقتصاد الإسلامى يرى أن الحفاظ على الموارد الطبيعية يتطلب:

أ- احترام الملكية الخاصة باعتبارها حق غير مطلق يستهدف مصلحة الجماعة دون الإضرار بمصلحة الغير، وهذا يعنى أن الملكية وظيفة اجتماعية المالك فيها أمين وخازن لثمرات ملكه جعل له التصرف فيها في الحدود المشروعة وهى الحدود التى قصد بها مصلحة المجتمع وخيره .. ولقد أباح الإسلام للفرد أن يمتلك الأرض ورأس المال النقدى والعينى والمنقولات والعقارات لما في الملكية الخاصة من مزايا اقتصادية منها:

١- الاستجابة لفطرة الإنسان وحبه للتملك

٢- توفير الحافز على العمل والإنتاج

---

(٤١) الأم جـ٣ ص ٢٦٥.

٣- ضمان الحفاظ على الممتلكات وعدم الإسراف فيها

٤- ضمان الاستثمار المستمر للأموال بدافع تنميتها

والإسلام حين أقر الملكية الخاصة حاول أن يضع لها من الضوابط ما يحول دون أن تكون مصدراً للفساد والتنازع وسبيلاً إلى التفرقة الطبقية وأعطى لأولى الأمر في كل بلد أن يحدوا من حرية التملك بالقدر الذى يكفل درء المفاسد وتحقيق المصالح.

ب- إمكان قيام الملكية العامة:

راعى الفكر الإسلامى أن وجود المجتمعات واتصال الناس ببعضهم والعلاقات الاجتماعية الناشئة عن هذه الاتصالات تستدعى وجود كيانات معنوية تستطيع إشباع الحاجات الاجتماعية التى يعجز الفرد عن إشباعها.. وانطلاقاً من ذلك أقر الملكية العامة وحدد لها مجالاتها ووظائفها ومن هذه المجالات[٤٢]:

- الأراضى الزراعية غير المملوكة ملكاً خاصاً.
- الثروات الصناعية غير المملوكة ملكاً خاصاً.
- المعادن ومصادر الطاقة.
- الغابات والمراعى والانهار ..وغيرها.

---

(٤٢) انظر محمد بن ناصر الحجرى "دور الدولة في التنمية الاقتصادية" رسالة ماجستير مقدمه إلى كلية الاقتصاد - جامعة القاهره.

وتقع على الدولة مسؤلية إدارة هذه القطاعات وتنميتها وتوجيه ناتجها لصالح جميع الأفراد..والإسلام يقر الملكية الجماعية وهى ظاهرة فى أمور كثيرة منها[٤٣]:

- في المساجد التى جعلها الله تعالى لجميع المسلمين وليست ملكاً لأحد.

- في الوقف الذى شرعه الله لتوجه غلاته ومنافعه إلى سبل الخير العام.

- فيما فعله النبى عليه الصلاة والسلام من قسمته غنائم خيبر نصفين جعل أحدهما للنوائب والوفود تفد على رسول الله وعلى المسلمين.

- فيما حماه الله من الأرض لخير المسلمين حين يغزون في سبيل الله، وقد حمى الرسول ﷺ "النقيع" لهذا الغرض فكانت للمسلمين عامة.. وتحقيق التوازن بين الملكية الفردية والجماعية مبنى على فلسفة الإسلام في أن الفردية جوهرية في الإنسان، لكن الإنسان وإن كان متفرداً في طبيعته وتركيبه إلا أنه مرتبط بالمجتمع أشد الارتباط في أهدافه وأوجه نشاطه.. ومن ثم فإن التفرد يتطلب ضرورة الملكية الخاصة والارتباط بالمجتمع يفرض وجود الملكية العامة واستمرارهما معاً هو الضمان لتحقيق العدالة الاقتصادية.

جـ- عدم جواز تحجير الأرض وعدم زراعتها:

الأصل في الملكية الانتفاع بها بما يحقق مصلحة الفرد والمجتمع، وعليه فإن تملك الموارد الطبيعية ومنها الأرض الزراعية يفرض على مالكها

---

(٤٣) انظر التوجيه التشريعى في الإسلام - من بحوث مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الجزء الأول ص ٢٣.

مداومة استثمارها، لأن تعطيل هذه الأرض يؤثر على الفرد والمجتمع معاً، ولذلك نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الاحتجار لأكثر من ثلاث سنين (والاحتجار هو وضع اليد على الأرض الموات لمحاولة إحيائها وتعميرها).

يقول الرسول عليه السلام:

«من أحيا أرضاً ميتة فهى له وليس لعرق ظالم حق»[٤٤].

ويقول عمر بن الخطاب:

"من أحيا أرضاً ميتة فهى له وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين".

تحجير الأرض يعطى للمجتمع الحق في نقل ملكيتها من فرد لأخر لديه المقدرة على تعميرها

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

"من عطل ارضاً ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له"

ولقد طبق عمر هذا المبدأ على الصحابى الجليل (بلال بن الحارث) الذى كان الرسول ﷺ قد أعطاه أرضاً بالعقيق ليزرعها فلما كان زمن عمر قال لبلال "إن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحجز عن الناس إنما قطعك لتعمل فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى".

رابعاً: تحقيق التوازن بين قوى الاستثمار

الموارد المتاحة في مجتمع ما – هى مصادر الإنتاج التى يعتمد عليها هذا المجتمع في تحقيق نموه وتقدمه، ومن ثم فإن الاستخدام الأمثل لهذه الموارد ضرورة مفروضة، فإذا وجدت الأرض الزراعية في أيدى من لايحسنون الزراعة وجب على أولى الأمر التدخل لإنقاذ هذه الثروة، وإذا

---

(٤٤) مسند الإمام أحمد – أبو داود – الترمذى.

اقتصر النشاط في مجتمع ما على مجال واحد كالزراعة رغم توافر المواد الخام التى تصلح للصناعة وجب على أولى الأمر عمل كل مايلزم لتنويع النشاط والاستفادة من المواد الخام وعدم الاكتفاء بتصديرها.. ومثل هذا الأمر تنبه إليه كثير من المفكرين المسلمين ودعوا إليه يقول المرحوم الشيخ محمود شلتوت:

" الإسلام حينما طلب تحصيل الأموال بالزراعة والصناعة والتجارة نظر إلى أن حاجة المجتمع المادية تتوقف عليها كلها فإنه كما يحتاج إلى الزراعة في الحصول على المواد الغذائية التى تنبتها الأرض، يحتاج إلى الصناعات المختلفة في شئونه المختلفة المتعدده، في ملابسه ومساكنه، في الآلات الزراعية وتنظيم الطرق، في حفر الأنهار والسكك الحديدية، في حفظ الكيان والدولة، وما إلى ذلك فيما لاسبيل إليه إلا بالصناعات، ويحتاج أيضاً إلى تبادل المنتجات والمواد الغذائية والمصنوعات مع الأقاليم التى ليست بها زراعة ولا صناعة، ولا تسعد أمة لاتسد حاجتها بنفسها، وإذن لابد من الاحتفاظ بالزراعة والتجارة والصناعة.. ولقد أتفق علماء المسلمين على أن الصناعات وجميع الأعمال التى يحتاج إليها المجتمع فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين وإن لم يقم به أحد أثموا جميعاً[٤٥]).

قال الإمام الغزالى:

"أما فرض الكفاية فكل علم لا يستغنى عنه قوام أمور الدنيا كالطب والحساب وأصول الصناعات والسياسة.

وينبه الدكتور رجاء جارودى[٤٦] الدول الإسلامية المنتجة للبترول أن تتخلص من دورها كممونة بالمواد الأولية لغيرها وأن تنشأ سوقاً

---

(٤٥) التوجيه التشريعى في الإسلام - مرجع سابق ص ٢٥ الجزء الأول

(٤٦) المرجع السابق "رجاء جارودى وحضارة الإسلام" ص٤٣.

مشتركة بين الدول الإسلامية والعالم الثالث لكى يصبح الإسلام كما كان بالماضى أهم مصدر يقتبس منه العالم ما يحتاج إليه في كل المجالات الإقتصادية والثقافية والعلمية.. وهذه الدعوة جرس إنذار في حينه إذ أن معظم المجتمعات تتصرف في ما منحها الله من ثروات تصرف من وجد كنزا لايعرف قيمته فأخذ يبذر فيه بلا عقل ولا روية - وفي البلاد الإسلامية أكبر احتياطى العالم من البترول ومن المعادن الثمينة وهى لا تفعل أكثر من استخراج هذه الثروة من باطن الأرض - وفي غالب الأمر بمعرفة شركات أجنبية -والتنافس في بيعها للدول المتقدمة بأسعار زهيدة لتقوم الأخيرة باستثمارها وإعادتها في شكل سلع ومنتجات تباع للبلدان الإسلامية بأغلى الأسعار.

والأدهى من ذلك أن العائد من هذه الثروات ينفق في الترف والمظاهر والسلع الاستهلاكية كالعمارات الشاهقة والسيارات الفارهة وغيرها مما يخالف المنهج الإسلامى الذى يدعو إلى الاعتدال وعدم الإسراف.

يقول تعالى:

﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[٤٧].

والأمر يتطلب وقفة موضوعية من قادة هذه الدول لوقف هذا النزيف.

خامساً: النهى عن أكل أموال الناس بالباطل:

قال تعالى:

﴿يا أيها الذين أمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن

---

(٤٧) سورة الأعراف الآية ٣١.

تكون تجارة عن تراضٍ منكم ﴾[٤٨].

وقال تعالى:

﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾[٤٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»[٥٠].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث قد درست (تقادم عهدها) ليس عندهما بينة: فقال عليه السلام: إنكم تختصمون إلى وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض -وإنما أقضي بينكم على نحو ما أسمع برأيي فيما لم ينزل علي فيه، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظاماً (ملصوقة) في عنقه يوم القيامة، فبكى الرجلان وقال كل منهما حق لأخي، فقال رسول الله ﷺ أما إذا قلتما فاذهبا فإقتسما ثم توخيا الحق بينكما، ثم استهما، ثم ليملل (يسامح) كل منكما صاحبه[٥١].. وضمانا لتحقيق هذا المبدأ حرم الإسلام التعامل بالربا.

قال تعالى:

---

(٤٨) سورة النساء الآية ٢٩.

(٤٩) سورة البقرة الآية ١٨٨.

(٥٠) رواه البخاري ومسلم.

(٥١) رواه أحمد وأبو داود من حديث أسامة.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾[٥٢].

وقال سبحانه:

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾[٥٣].

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الرباوموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء»[٥٤].

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»[٥٥].

وحرم الرشوة:

قال تعالى:

﴿ وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ﴾[٥٦].

---

(٥٢) سورة البقرة الآيتان ٢٧٨، ٢٧٩.

(٥٣) سورة البقرة الآيتان ٢٧٥، ٢٧٦.

(٥٤) رواه مسلم انظر الترغيب جـ ٣ ص ٢٨٧.

(٥٥) رواه الحاكم الترغيب جـ ٣ ص ٢٩١.

(٥٦) سورة المائدة الآية ٦٢.

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: «لعن رسول الله الراشى والمرتشى»[٥٧].

وعن أم أسامة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الراشى والمرتشى في الحكم»[٥٨].

وحرم الغش:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا»[٥٩].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه: "أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة (كومة من الطعام) فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا"[٦٠].

وحرم الغصب:

عن سعيد بن زيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله يوم القيامة من سبع أراضين»[٦١].

وعن رافع بن خديج رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من زرع في أرض قوم بغير إذنهم فليس له من الزرع شيء وله نفقه»[٦٢].

---

(٥٧) رواه أبو داود والترمذى - المرجع السابق جـ٣ ص ٢١٣.

(٥٨) رواه الطبرانى - الترغيب جـ٣ ص ٤٦٣.

(٥٩) رواه مسلم - رياض الصالحين ص ٥٧٨.

(٦٠) رواه مسلم - رياض الصالحين ص ٥٧٩.

(٦١) متفق عليه - بلوغ المرام لابن حجر ص ١٥٥.

(٦٢) سنن أبى داود.

وحرم السرقة:

قال تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾[٦٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الجمل فتقطع يده»[٦٤].

وحرم استخدام المال فيما يلحق الضرر بالغير:

قال رسول الله ﷺ: «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله أن يغرسه في جهنم رأسه أسفله»[٦٥].

سادساً: البعد عن السفه:

قال تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم﴾[٦٦].

سابعاً: عدم اكتناز الأموال:

يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾[٦٧].

ويقول تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة، ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾[٦٨].

---

(٦٣) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٦٤) رواه أحمد.

(٦٥) رواه الحاكم واللفظ له وأحمد والطبراني.

(٦٦) سورة النساء الآية ٥.

(٦٧) سورة البقرة الآية ٢٥٤.

(٦٨) سورة التوبة الآية ٣٤.

ويقول تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾[٦٩].

وقد أنفق المسلمون الأوائل أموالهم في سبيل الله وتنافسوا في ذلك، فأنفق أبو بكر رضى الله عنه جميع ماله في سبيل الله وأنفق عمر بن الخطاب نصف ماله، كما جهز عثمان بن عفان جيش العسرة من حر ماله في غزوة تبوك.

وترجع كثرة الآيات التى تنص على الإنفاق في سبيل الله إلى أن الضن بالمال والحرص عليه وإمساكه عن البذل في سبيل الخير والبر والدفاع عن النفس والوطن والحق، يوقع الأمة في الهلاك ويعرضها لإنتهاك حرمتها.

ثامناً: تحقيق التوازن بين الإنفاق الإستهلاكى وبين الإنفاق الإستثمارى وتشجيع الإدخار:

فالإسلام يوجه أبناءه إلى الإعتدال والتوازن ويمدحهم في ذلك، يقول تعالى فيمن أسماهم بعباد الرحمن ﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾[٧٠].

والإسلام يوجه أبناءه إلى محاربة الفساد، يقول تعالى: ﴿ أن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾[٧١].

---

(٦٩) سورة البقرة الآية ٢٦١.

(٧٠) سورة الفرقان الآية ٦٧.

(٧١) سورة الأسراء الآية ٢٧.

ويقول: ﴿يابني أدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين﴾[٧٢].

والإسلام يحذر أبناءه من عواقب البخل والاسراف معاً، فيقول تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾[٧٣].

ويقول الرسول ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»[٧٤].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «ما عال من اقتصد، وما افتقر من لايسرف ولايقتر»[٧٥].

تاسعاً: إخراج الزكاة "زكاة المال"

يقول تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[٧٦].

ويقول الرسول: «ما خالطت الصدقة مالا إلا أهلكته»[٧٧].

ومعنى الحديث أن المال الذى لم تخرج منه الزكاة لابركة فيه، وهو عرضة للضياع والتلف لما فيه من الاعتداء على حقوق الفقراء والمساكين.

---

(٧٢) سورة الأعراف الآية ٣١.
(٧٣) سوة الإسراء الآية ٢٩.
(٧٤) رواه الامام أحمد والنسائى وغيرهما.
(٧٥) مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود.
(٧٦) سورة التوبة الآية ١٠٣.
(٧٧) رواه البراز والبيهقى.

عاشراً: تخصيص موارد عامة لإنفاق معين بالذات:

حدد القرآن الكريم وجوه إنفاق بعض الموارد وهى الزكاة والفيء والغنيمة، ومن ثم فإنه لايجوز إنفاق هذه الموارد في غير المصارف المحددة لها.

قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾[٧٨].

ويقول تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم﴾[٧٩].

حادى عشر: عدم المغالاة في تحديد الضرائب المستحقة ضماناً لعدم إرهاق الممولين

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المعتدى في الصدقة كمانعها»[٨٠].

تحريم الأموال التى يأخذها العاملون على الأموال خلسة أو بدون وجه حق قال عليه الصلاة والسلام :

«من إستعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد فهو غلول»[٨١].

---

(٧٨) سورة التوبة الآية ٦٠.

(٧٩) سورة الحشر الآية ٧.

(٨٠) رواه أبو داود والترمذى.

(٨١) سنن أبى داود – عن بريدة.

ثانى عشر: عدم الحصول على الأموال باستغلال النفوذ:

قال تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾[٨٢].

ولقد لعن رسول الله ﷺ كل من يستعمل نفوذه للحصول على المال قال عليه الصلاة والسلام:

«لعن الله الراشى والمرتشى والرائش بينهما»[٨٣].

وقد كان التربح من الولاية سبباً قوياً ومبرراً لعزل الوالى عن ولايته على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وبهذه القواعد والأسس تحققت العدالة الإسلامية في مجال الأموال بالشكل الذى دفع الأعداء قبل الأصدقاء إلى الشهادة بعظمة هذا النظام.

يقول الأستاذ ماسنيون في كتابه "وجهة الإسلام"[٨٤]:

للإسلام الفضل في أنه يمثل لنا فكرة عادلة عما يقوم به كل فرد من أبناء الوطن بدفع عشر ريع الأرض للخزانة العامة -إنه يشن الغارة على المبادلة المطلقة ورأسمالية المصارف وقروض الدولة والضرائب غير المباشرة على الأشياء ذات الأهمية الجوهرية، ويقف وسطاً بين الرأسمالية والبورجوازية والشيوعية والبولشفية.

---

(٨٢) سورة البقرة الآية ١٨٨.

(٨٣) رواه أبو داود والترمذى.

(٨٤) انظر د./ انور الجندى "الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنسانى" ص٨٦.

الفصل الثالث

القيم الإسلامية والتنمية الاجتماعية

- ميادين التنمية الاجتماعية
- المفهوم الإسلامى للتنمية الاجتماعية
- القيم الإسلامية وتنمية روح الولاء للمجتمع
- قيم غير إسلامية يجب اسقاطها في مسيرة التنمية الاجتماعية

ميادين التنمية الاجتماعية

ميادين التنمية الاجتماعية متعددة ومتشعبة ويصعب حصرها، هذا إلى جانب أن التنمية الاجتماعية تؤثر وتتأثر بالتنمية الشاملة صعوداً وهبوطاً.

ويرى العلماء والمفكرون أن التنمية الاجتماعية أبطأ في معدلات تقدمها من التنمية الاقتصادية وهذا ما يزيد من صعوبة العمل في مجال التنمية الاجتماعية.

- وقد جرى العرف بين العلماء عند الحديث عن التنمية الاجتماعية التركيز على الهيكل المادى مثل إعادة توزيع الثروة وتذويب الفوارق بين الطبقات وتكافؤ الفرص في العمل وحقوق العمال.. الخ، إلا أن هناك جانب أخر لا يحظى بالعناية الكافية وهو ما يتصل بالقيم والسمات والعادات والتقاليد وأخلاقيات التعامل، وهو ما يمكن أن يسمى (الجانب المعنوى في التنميةالاجتماعية).

ويمكن القول أن العاملين (المادى والمعنوى) مترابطين لايمكن أن يحقق أحدهما هدفه دون وجود الأخر فإعطاء الحقوق للمواطنين في العمل وتحقيق عدالة التوزيع وما إلى ذلك لابد أن يقابل بالالتزامات التى تقع على عاتق هؤلاء المواطنين مثل الاهتمام بوقت العمل والالتزام بأخلاقيات وسلوك العمل الجيد.. كما أن مطالبة المواطنين بالالتزام بأخلاقيات العمل مع إهدار حقوقهم السياسية والاجتماعية يجعل هذه المطالبة غير ذات معنى ولاتؤدى إلا إلى مزيد من السلبية.

المفهوم الإسلامى للتنمية الاجتماعية:

يقوم على أساس أن الأمة الإسلامية أمة واحدة.. وأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، ومن ثم فإن

تحقيق مفهوم التنمية الشاملة يفرض النظرة الكلية للمجتمعات الإسلامية بمعنى أن كل مقومات التطور والتقدم في المجتمعات الإسلامية يجب أن تتفاعل من أجل تحقيق الأهداف الأساسية لأبناء الامة بمفهوم أن "الكل في واحد" وأن كافة الأهداف الجزئية للبلاد الإسلامية يجب أن تصب في الإطار العام للتنمية الإسلامية وتعمل في خدمته عملا بقول الرسول عليه السلام:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً»[٨٥].

فالإسلام وهو يدعو إلى المساهمة في تطوير المجتمع يضع الإطار العام للمسئولية الاجتماعية كما حدده الرسول في حديثه الشريف «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» ومن ثم فإن قيام كل إنسان بواجبه يدفع بالمجتمع كله نحو التطور والارتقاء، ولهذا عنى الإسلام عناية كبيرة بالعلاقات الاجتماعية وجعلها ركناً من أركان الأيمان.

يقول الرسول ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس»[٨٦].

«أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربه أو تطرد عنه جوعاً أو تقضى عنه ديناً»[٨٧].

«لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٨٨].

والإسلام يجعل عمل الخير وقضاء مصالح الناس أفضل من الاعتكاف في المساجد.

---

(٨٥) متفق عليه – رياض الصالحين ص١٢١.

(٨٦) رواه الاصبهانى عن عبد الله بن عمر

(٨٧) رواه الطبرانى عن عمر.

(٨٨) رواه البخارى ومسلم عن أنس.

وحينما اعتكف عبد الله بن مسعود في المسجد دعاه رجل للخروج من المسجد ليقضى له حاجة، فلما أحس أن بعض الناس عارضوه في قطعه الاعتكاف الذى يحرمه الأجر العظيم قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين»[٨٩].

وفي رواية أخرى «لأن يمشى أحدكم في قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف في مسجدى هذا شهرين»[٩٠].

والالتزام بالمجتمع أفضل من الانزواء ولوفي صلاة.. مر رجل بعين ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس في هذا الشعب.. ولكنه لم يفعل حتى سأل رسول الله ﷺ فقال له عليه السلام:

«لاتفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله سبعين عاماً»[٩١].

إلا أن مبدأ المسئولية الاجتماعية في الإسلام تنظمه بعض القيم الضرورية وأهمها:

١- المسئولية الاجتماعية تفرض التضامن في تنفيذ ما أمر الله به ومنع ما نهى عنه.

يقول تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[٩٢].

---

(٨٩) راوه الطبرانى والحاكم.

(٩٠) رواه الطبرانى والحاكم.

(٩١) رواه الترمذى عن أبو هريرة.

(٩٢) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

ويقول سبحانه: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[٩٣].

٢- المسئولية الاجتماعية تفرض تحقيق المصالح ودرء المفاسد وهذه المصالح كما قررها الفقهاء تكون بتحقيق الضرورات التى لاتستمر الحياة بدونها وهى:

- حفظ الدين. - حفظ النفس. - حفظ النسل.
- حفظ المال. - حفظ العقل

٣- المسئولية الاجتماعية لاتلغى الفرد كإنسان له مواصفات متميزة بل تحفظ للفرد مكانته الشخصية ووجوده الذاتى وتجعل اندماجه مع المجتمع في الحدود التى تهيء للمجتمع تحقيق أهدافه، وتهيء للفرد الحفاظ على كرامته ووضعه الاجتماعى.

٤- المجتمع الإسلامى مجتمع متعاون ومتكافل يعيش كوحدة واحدة ويعمل كجسد واحد.. يقول الرسول ﷺ:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[٩٤].

ويقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[٩٥].

ويقول: «أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى»[٩٦].

---

(٩٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤.
(٩٤) متفق عليه - رياض الصالحين ص ١٢١.
(٩٥) متفق عليه - رياض الصالحين ص ١٢١.
(٩٦) عرصة بفتح العين والصاد، وهى كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

ويقول: «من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان له فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له»[٩٧].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»[٩٨].

والقرآن يدفع الناس دفعاً إلى التكافل الاجتماعى.. ويفرض على الأغنياء اقتطاع جزء من أموالهم لرعاية الفقراء:

يقول تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾[٩٩].

ويقول: ﴿وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾[١٠٠].

ويقول سبحانه: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا

---

(٩٧) متفق عليه.

(٩٨) رواه الطبرانى والبزاز (الترغيب والترهيب) جـ٣ ص ٣٥٨.

(٩٩) سورة الإسراء الآية ٢٦.

(١٠٠) سورة النساء الآية ٣٦.

وأولئك هم المتقون﴾[١٠١].

بل إن القرآن يتوعد من يتجاهلون حق المجتمع عليهم ويعتبرهم خارجين عن الدين.. يقول تعالى:

﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾[١٠٢].

القيم الإسلامية وتنمية روح الولاء للمجتمع:

الشعور بالولاء للمجتمع هو الذى يدفع أفراده إلى العمل والإنتاج وتحمل المسئوليات الاجتماعية ولقد مرت ببلادنا الإسلامية ظروف كثيرة ساعدت على قتل روح الولاء في نفوس الناس ففى فترات الاستعمار أحس الناس أن خير بلادهم يعود إلى غيرهم فافتقدوا روح العمل.

وفي البلاد التى سيطرت فيها الدكتاتورية أحس الناس أنهم بعيدون عن المشاركة في كثير من الامور فافتقدوا الولاء.

ويقع على إدارة التنمية في هذه المجتمعات عبء كبير لإعادة هذا الولاء المفقود وتنميته في روح ونفوس المواطنين حتى يؤدى كل منهم عمله برغبة وإخلاص وإحساس بالمسئولية تجاه المجتمع إذ أن انعدام هذا الولاء هو الذى يؤدى إلى تخريب المرافق العامة والتضحية بالصالح العام في سبيل المصلحة الفردية، وتأدية العمل كتحصيل حاصل.. وعشرات السلبيات التى تعرقل مسيرة التنمية.

---

(١٠١) سورة البقرة الآية ١٧٧.

(١٠٢) سورة الماعون الآيات ١ - ٣.

والحل الأسمى الذى يدفع التنمية الإسلامية دفعاً في سبيل تحقيق أهدافها هو إيقاظ الضمير الإنسانى بصفته الجهاز الرقابى الذى يرشد تصرفات الإنسان.. وإيقاظ هذا الضمير وتوظيفه والاستفادة منه كأحد النعم التى منحها الله لعباده لن يتحقق إلا بتنمية روح الولاء لله سبحانه وتعالى.. بمعنى أن يكون هدف الإنسان في عمله وفي حركته في الحياة هو كسب رضاء الله سبحانه وتعالى.. هذا الولاء يجب أن يجيء أولاً قبل الولاء لقضايا قومية أو عالمية.. إن المسلم إذا أدرك واجبه نحو ربه أولاً فستنجح كل خطواته في سبيل الحياة الأخرى.. أما من يفتقد الولاء لله فلن تنجح كافة الولاءات الاخرى في جعله يؤدى العمل بإتقان وإخلاص لأنه يفتقد المرشد الأساسى للحركة المستقيمة وهو "الضمير الحى"

الولاء لله سبحانه وتعالى:

دوافع الناس للعمل كثيرة ومتعددة لكنها وقتية، فالفرد الذى يعمل من أجل الحصول على الأموال يقل إقباله على العمل إذا لم يحصل على ما يكفيه، أو إذا تحقق لديه نوع من الإشباع المادى يحقق له الاكتفاء، والذى يعمل من أجل الحصول على مركز اجتماعى مرموق قد يقل إقباله على العمل إذا حقق هدفه أو حتى إذا فشل في تحقيق هذا الهدف، فربما يصاب بالإحباط ويقل حماسه للعمل، وكذلك إذا أردنا زيادة الإنتاج بزيادة الحوافز فإننا عند مرحلة معينة نجد أن هذه الحوافز قد فقدت دورها ولم تؤتى بالثمار المرجوة.. وفكرة ولاء الإنسان لمهنة معينة تأخذ في التبدد مع الوقت مما يجعل الكثيرين يغيرون أعمالهم بمعدل ملحوظ، كما أن الارتباط بالارض أو بالمكان قد أخذ في التلاشى تدريجيا مع صراعات الحياة ومتاعب المعيشة وسهولة وسائل النقل والاتصال، لكن المسلم حين يعمل، وحين يسعى في الحياة فإنه يكون مدفوعاً لذلك بولائه لله سبحانه وتعالى

وانتمائه للإسلام، وإيمانه بأن الله سبحانه وتعالى يراقب عمله وسيحاسبه عليه.. يقول تعالى:

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[١٠٣].

هنا.. حتى لو لم تكن هناك دوافع مادية للعمل.. فالدافع المعنوى وهو الإحساس بأن العمل فيه رضاء لله ورسوله كفيل بدفع المسلم إلى بذل أقصى الجهد.

وهذا الولاء يجعل المسلم لايؤدى العمل تحصيل حاصل أو خوفاً من رؤساء، بل يسعى للإجادة والإتقان تنفيذا لقول الرسول ﷺ:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»[١٠٤].

يؤكد هذه المقولة د. السيد عليوه فيقول عن الحل الإسلامى لمشكلة تلاشى الولاء والانتماء تحت ضغط متغيرات العصر:

"يجيء الحل الإسلامى ليقدم علاجاً شافياً.. فعشرات الجنسيات باكستانيون وأسيويون وأفارقة يعملون في المملكة العربية السعودية بدرجة ملحوظة من الانضباط والكفاية، أحد أسبابها لاشك فكرة الولاء لله سبحانه وتعالى، والانتماء للإسلام، والاقتداء بالرسول الكريم ﷺ، والعمل في رحاب الأرض المقدسة وبالقرب من الحرمين الشريفين"[١٠٥].

ويفرض الحق نفسه على لسان جورباتشوف تعليقاً على القصة التى جاءت في كتابه "البروستوريكا" عن أثر الولاء الدينى في العمل فيقول:

---

(١٠٣) سورة التوبة الآية ١٠٥.

(١٠٤) رواه البيهقى.

(١٠٥) د./ السيد عليوة "صنع القرار السياسى" مرجع سابق ص٣٢٩.

"اقترب مسافر من بعض العاملين الذين يقيمون بناء وسألهم واحداً واحداً ما الذى تفعله؟

وأجاب أحدهم مستفزا "أنظر إننا منذ الصباح حتى الليل نحمل هذه الأحجار اللعينة" ونهض أخر على ركبتيه وشد كتفيه وقال بفخار: "إننا نبنى معبداً كما ترى".

ويعلق جورباتشوف على هذه القصة فيقول:

وهكذا إذا كان أمامك هذا الهدف النبيل - معبد يضيء فوق ربوة خضراء - فستكون أثقل الأحجار خفيفة، وأشق الأعمال ممتعة"[١٠٦].

قيم غير إسلامية يجب اسقاطها:

في كثير من الأحيان تقف بعض العادات الموروثة أو القيم الهابطة موقفاً سلبياً يعرقل حركة التنمية الاجتماعية ويقف حجر عثرة في طريق التنمية الشاملة.

وهذه العادات والقيم التى تسود بعض المجتمعات الإسلامية يجب أن نضعها أمام أعيننا كنماذج للقيم السلبية التى يجب إسقاطها عند التخطيط للتنمية الشاملة.. ومن هذه القيم:

الإسراف في الاستهلاك:

الدول التى تسعى للتقدم يجب أن يكون إنتاجها أكثرمن استهلاكها حتى يكون هناك فائض للتصدير.. ومن الملاحظ أن البلاد المتخلفة عموما تتميز بارتفاع معدلات الاستهلاك.. كما تتميز بالتصرفات غير الرشيدة في استهلاكها.. وتبدو مثل هذه التصرفات بوضوح إذا ظهرت بوادر

---

(١٠٦) د./ سمير فرج "الولاء بين علم النفس والقرآن" المتحدة للطباعة والنشر سنة ١٩٨٩ ص ٩٠.

أزمة في سلعة ما، وهنا يكون السلوك الرشيد هو تخفيض استهلاك هذه السلعة أو البحث عن بدائلها إلا أن ما يحدث وكما تدل المؤشرات الإحصائية هو التكالب على هذه السلعة وتخزينها وزيادة استهلاكها بشكل يؤدى إلى تفاقم الأزمات.

والإسلام يرفض الإسراف في كافة صوره وأشكاله ويعتبر المسرفين والمبذرين إخوانا للشياطين..

يقول تعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾[١٠٧].

ويقول تعالى محذراً من الإسراف ومخاطباً البشرية جمعاء:

﴿يابنى أدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[١٠٨].

وفي هذا الشأن فالإسلام يرفض أيضاً الاكتناز ويدعوا إلى التوازن والاعتدال..

يقول تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا﴾[١٠٩].

والقرآن الكريم يصف عباد الرحمن بالاعتدال والوسطية حيث يقول تعالى:

---

(١٠٧) سورة الإسراء الآية ٢٧.

(١٠٨) سورة الأعراف الآية ٣١.

(١٠٩) سورة الإسراء الآية ٢٩.

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، وكان بين ذلك قواما ﴾[110].

المبالغة في المظاهر:

كثيراً ماتطغى المظهرية على الجوهر في سلوكيات الناس سواء من ناحية المأكل أو الملبس أو المسكن مما يلقى على عاتقهم وعاتق الدولة أعباء كان من الممكن تفاديها.. وقد تكون مثل هذه المظهرية مقبولة في المجتمعات التى حققت قدراً من التقدم واكتملت لها البنية الأساسية، أما في المجتمعات التي تعانى من عجز وقصور في أساسيات الحياة فإن الإنفاق المظهرى يمثل عبئاً على الاقتصاد القومى لامبرر له.

والإسلام يرفض المظهرية والرياء والخيلاء.

يقول الرسول ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا في غير إسراف ولامخيلة»[111].

المبالغة في المجاملات:

المجاملات كثيراً ما تكون لها تكلفة مادية باهظة تعد دينا في عنق الأطراف التى تقوم بالمجاملة فهدية الفرح لابد أن تقابلها هدية مماثلة، والمساعدة في الجنائز لابد أن تقابل بمثيلتها وتستمر المعاملة بالمثل.. مما يمثل إرهاقاً وعبئاً أسرياً وقومياً. والإسلام يرفض مثل هذه التصرفات ويعتبرها سفهاً لأنها تخرج عن حدود الطاقة ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[112].

([110]) سورة الفرقان الآية ٦٧.

([111]) مسند الإمام أحمد والنسائى – عن ابن عمرو بن العاص.

([112]) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

المبالغة في التواكل:

من القيم التى تسود كثيراً من المجتمعات، ويعتبرها البعض من قبيل التسليم لله، وتطلق فيها الشعارات المغلوطة، فحينما يرى الإنسان منكراً وينبه إلى تغييره يقال له "دع الخلق للخالق،" "لايجرى في ملك الله إلا ما يريد الله" وعندما يتطلب الأمر تدخلا حاسماً لإصدار قرار ما يقال لك "توكل على الله"، وحينما تحذر من خطر قادم يقال لك "لايقع في ملك الله إلا ما يريد الله".

مثل هذه المقولات استخدام للمعانى في غير مكانها وزمانها، وتنبيء عن خلط في أذهان الناس بين مفاهيم التوكل والتواكل، فالإسلام يدعو إلى التوكل على الله.. بمعنى أن نعمل ماعلينا وأن نبتغى الاسباب ثم نترك النتائج لله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[113].

أما أن نترك الامور تسير كما تسير ونضع اليد على الخد فهذا تواكل نهى الله عنه، ونهى عنه رسول الله ﷺ حينما جاءه الصحابى يخبره أنه ترك ناقته أمام المسجد دون قيد متوكلا على الله فنصحه الرسول قائلا: «اعقلها وتوكل»[114]، أى أن التوكل لايمنع العمل وابتغاء الأسباب.

الفهلوة وعدم الإيمان بالتخصص:

من السمات التى أصبحت سائدة في المجتمعات الإسلامية، التصدى لعمل أى شيء مهما كان لايدخل في قدرات أو إختصاصات الذى يقوم به.

([113]) سورة الطلاق الآية ٣.

([114]) سنن الترمذى عن أنس بن مالك.

فحلاق القرية يمارس الطب، وكاتب المحكمة يقوم بدور المحامى، والصيدلى يشخص الأمراض، والجميع يفتى في أمور الدين.. الخ

والمأساة أنه قد ترسخ في أذهان الكثير أن الفهلوة هى الطريق السوى الناجح لمواجهة ظروف الحياة الصعبة..

والإسلام يرفض مثل هذه النظرة الطفيلية مصداقاً لحديث الرسول ﷺ «كلٌ ميسر لما خلق له»[١١٥].

وتنفيذا لدعوة القرآن الكريم: ﴿فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون﴾[١١٦].

سيطرة العاطفة على الناس:

الجرى وراء العواطف كثيراً ما يشغل عن العمل والإنتاج. فقد تنقطع عائلة بأكملها عن العمل للجلوس في مأتم العزاء عند موت أحد أفرادها لمدة اسبوع أو أكثر، ومثل هذا يحدث في الأفراح وقد يشترك الناس في القتل أو ارتكاب الجرائم مساندة لقريب أو صديق ومثل هذه التصرفات تعرقل مسيرة التنمية وتعتبر خروجاً عن القيم الإسلامية التى تدعوا إلى التعقل وترفع من قيمة العقل .. والإسلام جاءت دعوته كلها موجهة إلى العقل:

- ﴿إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾[١١٧].

---

(١١٥) معجم الطبرانى - عن ابن عباس.

(١١٦) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(١١٧) سورة الزمر : الاية ٢١ .

- ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾[118].

- ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾[119].

العصبية القبلية:

تتجلى هذه الظروف بوضوح في الإنتخابات التى تجرى في البلاد التى ينقصها الوعى السياسى فكثيراً ما ينجح المرشح الذى له عصبة وعائلة حتى ولو كان غير صالح لتمثيل المجتمع، كما تبدو أثناء الصراعات التى تحدث في الأرياف حيث أن أى شجار بين فردين قد يتحول إلى صراعات قبلية تضيع فيها الأرواح والأموال.

والإسلام ينهى عن هذه العصبيات والقبليات ويسوى بين الناس يقول الرسول ﷺ:

«الناس سواسية كأسنان المشط»[120].

ومقياس التفاضل في الإسلام هو التقوى والعمل الصالح يقول تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[121].

والإسلام يجعل تقسيم الناس إلى طوائف وشعوب وامم هو وسيلة للتعارف والحب وليس مبرراً للتصارع والتناحر يقول تعالى:

---

(118) سورة آل عمران : الآية ١٩٠ .

(119) سورة هود : الآية ٧٨ .

(120) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى.

(121) سورة الحجرات الآية ١٣.

﴿ يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾[١٢٢].

([١٢٢]) نفس الآية السابقة.

الفصل الرابع

القيم الإسلامية والتنمية الادارية

- تعريف التنمية الإدارية ونظرياتها
- تنمية القيادات الإدارية
- تنمية التنظيمات الإدارية
- تنمية النظم الإدارية

تعريف التنمية الإدارية ونظرياتها

التنمية الإدارية في أبسط تعريفاتها هى زيادة القدرة الذاتية للجهاز الإدارى للدولة بمؤسساته ومنظماته وأفراده على حل مشاكل التغيير وتقوية فاعليته وقدرته على التكيف مع المتغيرات الجارية[١٢٣].

ولقد تعددت مناهج البحث في موضوع التنمية الإدارية.. إلا أنها جميعاً يمكن حصرها في نوعين:

- النظريات التقليدية. - النظريات الحديثة.

النظريات التقليدية: تهتم بالجوانب الهيكلية والتنظيمية والقانونية حيث تعتمد على التنظيمات الرسمية وخطوط السلطة والمسئولية وتقسيم العمل في ضوء مباديء وحدة الأمر ونطاق الاشراف والتسلسل الهرمى.

أما **النظريات الحديثة** فتقوم على الاعتراف بأهمية الدور الذى تؤثر به القيم في سلوك منظمات الجهاز الإدارى باعتباره مؤسسة اجتماعية يؤثر ويتأثر بظروف البيئة والمجتمع.. ولعل آخر ما وصل إليه الفكر الإدارى في هذا المجال هو مفهوم الإدراة بالنظم.

وفي ظل هذا المدخل ينظر للمنظمة كنظام يشبه أى نظام ميكانيكى أو عضوى، أو مثل جسم الإنسان يتكون من أجزاء تتفاعل مع بعضها ويعتمد كل منها على الآخر بقوة بحيث أن فساد أى جزء من هذا النظام يؤثر تأثيراً مباشراً في بقية الأجزاء الأخرى.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام قد استمد مبادئه وأسسه من الفكر الإسلامى - يقول الدكتور منصور أحمد منصور أستاذ الإدارة

---

(١٢٣) راجع د./ السيد عليوة - صنع القرار السياسى - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهره سنة ١٩٨٧ - ص ٢٩٦.

بالجامعات المصرية "إن مفهوم الإدارة بالنظم الذى يعد أحدث ما وصلت إليه المدارس الحديثة والذى يرى أن المنظمة مكونات فرعية يعتمد كل منهاعلى الآخر في نموه واستمراره إنما صيغ من حديث الرسول عليه السلام «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[١٢٤]. واستناداً إلى هذا الحديث تم تصوير المنظمة على أنها كجسم الإنسان يؤثر كل جزء منها على الآخر ويتأثر به"[١٢٥].

ولاشك أن المنهج الإسلامى هو أول من لفت النظر إلى أهمية القيم في سلوك المنظمات الإنسانية وعلى رأسها الجهاز الإدارى حيث أنه الجهاز الذى يوجه عمليات النمو والتطور في المجتمع.

ويقوم هذا المنهج على ضرورة أن تتم التنمية الشاملة في إطار قيمى يشمل كافة جوانب عملية التنمية والتى تشمل:

أولاً: تنمية القيادات الإدارية

ثانياً: تنمية التنظيمات الإدارية

ثالثاً: تنمية النظم الإدارية

أولاً: تنمية القيادات الادارية:

الإنسان المسلم هو غاية المنهج الاسلامى في الإدارة، هو القائد والموجه لكل مراحل التطور.. والتقدم. وتنمية القيادات الإدارية، ضرورة ملحة لضمان نجاح العمل ولذلك حرص الإسلام على الإهتمام بالقيادات وتنمية كافة جوانبها فاهتم بتنمية القدرات العقلية وتنمية القدرات التسخرية واهتم بتنمية الخبرات المختلفة.

---

(١٢٤) مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم عن النعمان بن بشير.

(١٢٥) د./ منصور أحمد منصور – قراءة في تنمية الموارد البشرية – المقدمة.

وتنمية القدرات العقلية يستلزم تدريب القائد على: **التفكير العلمى بدلاً من الظن والهوى.**

يقول تعالى: ﴿وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً﴾[١٢٦].

.. التفكير التجديدى لا التقليدى:

يقول الرسول ﷺ: «لايكون أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت بل وطنوا النفس إن أحسن الناس تحسنوا وإن أساءوا فتجنبوا الإساءة».

.. التفكير الشامل لا الجزئى:

ولعل في قصة الخضر عليه السلام مع نبى الله موسى دليلاً عملياً على تدريب العقل الإنسانى على التفكير الشامل، فحينما أغرق الخضر السفينه، فكر موسى أن فى هذا الأمر اضراراً بأصحابها من منطلق التفكير الجزئى الذى ينظر إلى الصورة من زاوية واحدة.

قال: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرا﴾[١٢٧] فلما وضحت له الصورة كاملة وتأكد أن خرق السفينة إنقاذ لها من الملك الغاصب وجد أن تفكير الخضر شامل مبنى على معرفة بكافة جوانب الموضوع - ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾[١٢٨] وتكرر

---

(١٢٦) سورة النجم الآية ٢٨.

(١٢٧) سورة الكهف : الآية ٧١ .

(١٢٨) سورة الكهف : الآية ٧٩ .

هذا الأمر في قصتى الغلام وبناء الجدار تدريباً لنبى الله موسى على التفكير الشامل الذى يلم بكل جوانب الصورة[١٢٩].

.. التفكير الواقعى لا التبريرى:

يقول تعالى: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[١٣٠].

هذه الآية تعبر عن التفكير الواقعى الذى يعترف بالخطأ ويبحث عن الحل الصحيح، وهو المنهج الذى يقره الإسلام في التفكير. ولا أول على التفكير الواقعى الذى لايبرر الأخطاء ولايرضى بالتمادى في الباطل من أن الرسول عليه السلام حينما أشار على الناس بعدم تلقيح إناث النخل بطلع ذكورها ثم تبين أن ذلك يؤدى إلى عدم إثمارها، قال عليه السلام:

«إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيى فإنما أنا بشر»[١٣١].

وفي رواية عائشة «أنتم أعلم بأمور دنياكم»[١٣٢].

.. التفكير الجماعى بدل الفردى:

وهذا يعنى عدم التفرد بالرأى واستشارة المختصين وأهل العلم، حينما ولى عمر بن الخطاب شريحاً لقضاء الكوفه قال له: "اقض بما استبان لك من قضاء رسول الله، فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله فأقض بما

---

(١٢٩) القصة بتفصيل محكم ورائع في سورة الكهف.

(١٣٠) سورة الأعراف الآية ٢٣.

(١٣١) رواه الإمام مسلم عن موسى بن طلحة.

(١٣٢) صحيح مسلم - عن أنس بن مالك.

استبان لك من قضاء الأئمة المجتهدين فإن لم تعلم كل ما قضى به الأئمة المجتهدون فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح"[١٣٣].

وكان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإذا وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به، فإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك سنة قضى بها، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين إنا في كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر فيه عن رسول الله قضاء، فإن أعياه أن يجد فيه سنة جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمعوا على شيء قضى به.

وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد فى القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبى بكر قضاء فإن وجد أبا بكر قضى فيه قضى به وإلا دعا رؤوس الناس فإن اجتمعوا على أمر قضى به.

أما تنمية القدرات التسخرية فتعنى القدرة على التأمل في الكون وتدبر آياته واستلهام معانيه واكتشاف قوانينه وتسخير موارده لخير المجتمع.. ويحث القرآن الكريم على تنمية هذه القدرات..

يقول تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[١٣٤].

---

(١٣٣) راجع التوجيه التشريعى في الإسلام مرجع سابق الجزء الثالث ص ١٢٩.

(١٣٤) سورة البقرة الآية ١٦٤.

وهذا يؤكد أن هذه القدرات تصل بالإنسان إلى الإيمان وخشية الله سبحانه، يقول تعالى:

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[١٣٥].

وما هو جدير بالذكر أن القدرات العقلية تولد كامنة في الإنسان لكنها تنمو بالرعاية وتموت بالإهمال وأن عقل المؤمن وقلبه يغمرهما نور مستلهم من نور الله يميز بين الخير والشر والحلال والحرام وهذا النور يزداد بطاعة الله سبحانه وتعالى وينطفيء بالمعاصى والمجاهرة بها.

يقول الرسول ﷺ "لولا أن الشياطين يحرمون على قلب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات والأرض"[١٣٦].

والقدرات العقلية تنمو بالتعلم.. إلا أن العلم في المفهوم الإسلامى مراتب:

أولها: العلم الظنى المكتسب عن طريق الحواس والذى يخضع للتجربة والاختيار ويقبل الصواب والخطأ، ويندرج تحت قوله تعالى:

﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۞ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . .﴾[١٣٧].

ثانيها: علم اليقين وهو العلم المكتسب عن طريق الحواس ولكنه علم يقينى.. تم التأكد منه عن طريق النظر أو السمع أو الذوق أو اللسان أو الحس أو الشم..

---

(١٣٥) سورة فاطر الآية ٢٨.

(١٣٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده

(١٣٧) سورة الروم الآيتان ٦، ٧.

وهو متاح لكل الناس ولكل منهم على قدر إجتهاده ويندرج تحت قوله تعالى:

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾[١٣٨].

ثالثها: حق اليقين عندما يجمع الإنسان بين العلم المكتسب عن طريق الحواس ونزوع النفس إلى الجانب الإلهى الذى يجعلها تنزع إلى مرتبة الإيمان الصادق، وتسلك طريق العمل الصالح يكون بذلك قد انتقل إلى مرتبة أسمى في العلم وهى حق اليقين.

وهذه الدرجه لايصل إليها إلا أهل الإيمان والعمل الصالح، وفي هذه الحالة يأخذ العلم شكل إلهامات ربانية، تجعل هناك طاقة نورانية يفتحها الله على عبده فتنير البصر والبصيرة ويندرج هذا تحت قول الله تعالى:

﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾[١٣٩].

ومن أُمثلته ما وقع من الفاروق عمر بن الخطاب حينما كان يخطب خطبة الجمعة ونادى "يا سارية بن حصن الجبل.. الجبل ومن استرعى الذئب ظلم"

فلم يفهم السامعون مراده، فلما قضيت الصلاة سأله على رضى الله عنه:

ما هذا الذي ناديت به؟

قال أو سمعته؟

قال نعم أنا وكل من في المسجد.

---

(١٣٨) سورة النحل الآية ٧٨.

(١٣٩) سورة الكهف الآية ٦٥.

قال عمر "وقع في خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا، وان جاوزوه هلكوا، فخرج منى هذا الكلام".

وجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا في ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر يقول يا سارية بن حصن الجبل.. الجبل، فعدلنا إليه ففتح الله علينا[١٤٠].

المرتبة الرابعة هى عين اليقين وهى لا تمنح إلا للأنبياء والصديقين وأصحابها الملهمون تتكشف لهم الأشياء بالبصيرة قبل البصر.. بصائرهم كالمصباح المنير، ترى الحقيقة من كل الاتجاهات بلا حجب .. يعبر الرسول عليه السلام عن هذه الحقيقة حين يقول للمصلين خلفه:

"أتموا ركوعكم وسجودكم فإنى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى"[١٤١].

ومن أمثلته ما حدث للرسول ﷺ بعد حادثة الاسراء حين عارضته قريش وطلبوا منه إن كان صادقاً أن يصف لهم بيت المقدس وقالوا له: "أنضرب بأكباد الإبل شهراً ذهاباً وشهراً أياباً حتى نعود، وتذهب أنت وتعود في لحظات" صف لنا بيت المقدس إن كنت صادقاً فأخذ يصفه لهم وصفاً دقيقاً وكأنه أمامه.

.. **أما تنمية الخبرات** فيشمل الإهتمام بما اكتسبه القائد من علوم ومعارف ومهارات خلال حياته وتوجيهها التوجيه السليم. وهذه الخبرات بما تحويه من جوانب عقلية ومادية ممثلة في حصيلة العلم والعمل الصالحين

---

(١٤٠) انظر العقاد: عبقرية عمر "الجهاز المركزى للكتب المدرسية والجامعية" سنة ١٩٨٠ ص٢٦.

(١٤١) رواه الشيخان وأبو داود وغيرهم عن أنس رضى الله عنه.

تلعب دوراً هاماً في تنمية القيادات لأنها ترتكز على جوانب عملية وحياتية معاشه وسبقت تجربتها والاطمئنان إلى نتائجها، إذ أن الخبرة عمل وأثر يتركه هذا العمل في نفس الإنسان.

والخبرات قد تكون كونية تبحث في العلاقة بين الكون والإنسان، وقد تكون دينية توجه مسيرة الإنسان وفق إرادة الخالق وقد تكون اجتماعية مكتسبة من المعاملات والعلاقات اليومية في المجتمع لكنها تتضافر جميعاً في تحديد أطر الشخصية واتجاهاتها

.. والاهتمام بها جميعاً ضرورة لنجاح عملية التنمية الإدارية للقيادات.

وتنمية القيادات الإدارية في المفهوم الإسلامى ترتكز على قاعدة أساسية وهى توجيه نظر القائد إلى أنه يتخذ قرارات تتعلق بالمستقبل ونجاح هذه القرارات متوقف على توفيق الله تعالى، وهذا التوفيق يتطلب من القائد التقوى والعمل الصالح.

ثانياً: تنمية التنظيمات الإدارية:

التنظيم الإدارى يعنى تقسيم العمل، وتصميم الهيكل التنظيمى وتحديد مسئوليات المناصب والعلاقات الرأسية والأفقية وتختلف التنظيمات الإدارية من دولة إلى أخرى بل من إقليم إلى آخر داخل الدولة ويتوقف ذلك على العديد من العوامل نذكر منها.

- الأهداف التى يسعى التنظيم الإدارى لتحقيقها
- الظروف الجغرافية والطبيعية
- الظروف السياسية
- الظروف الاقتصادية
- العوامل التكنولوجية

وبناء على هذه العوامل يمكن تحديد نوع التنظيم الإدارى ومدى اتجاهه نحو المركزية أو اللامركزية.

وفي البلاد الإسلامية نجد أن التنظيمات الإدارية لمعظم هذه الدول قد اصطبغت ببعض الصفات التى أدت إلى عوامل الفساد والانهيار التى تعانى منها هذه الدول ومنها:

١- الصراعات المستمرة بين التنظيمات الرسمية والتنظيمات غير الرسمية

تسير خطوط السلطة والمسئولية في معظم البلاد الإسلامية في اتجاهين:

أ- اتجاه التنظيم الرسمى الذى تحكمه لوائح وقوانين العمل.

ب- اتجاه التنظيم غير الرسمى الناتج من انخراط الافراد في الجماعات المختلفة داخل التنظيم.

ونظراً لعدم وجود قيم حقيقية توائم بين هذه التنظيمات فإن الصراعات فيها كثيراً ما تفسد جو العمل وخصوصاً في ظل وجود نقابات قوية أو جماعات ضغط منظمة تقيد حركة الإدارة الرسمية.

٢- ضعف عمليات الإشراف والمراقبة :

تعدد مستويات التنظيم واتساع المسافة بين قمة الهرم التنظيمى وقاعدته تجعل هناك صعوبة في الاتصال وفي توصيل البيانات والمعلومات والتقارير من أسفل إلى أعلى وكذلك صعوبة في توصيل الأوامر والقرارات من أعلى إلى أسفل.. وهذا يؤدى إلى بطء عملية صنع القرارات، كما يؤدى في كثير من الأحيان إلى سوء فهم لهذه القرارات أو تعرضها للتحريف والتأويل أو تحميلها مالا تحتمل.

٣- الاسراف وارتفاع تكلفة الخدمة أو المنتج

كثيراً ما تهتم المؤسسات فى المجتمعات النامية بالشكل والمظهر وهذا يدفعها إلى إنفاق مبالغ طائلة على الأبنية والاثاثات، وهذه المبالغ تؤدى إلى ارتفاع تكلفة الخدمة أو المنتج.. كما أن وجود عمالة زائدة أو تكدس وظيفى يمثل نوعاً من الإسراف في موارد المؤسسة حيث أن أجور هؤلاء وكافة الحوافز الأخرى تضاف تكلفتها إلى الخدمة أو المنتج مما يؤدى إلى ارتفاع التكاليف .. وأيضاً نظراً لفقدان الشعور بالواجب والضمير لدى كثير من العاملين يكون هناك إهدار للموارد والامكانيات والمواد الخام يمثل إسرافاً وزيادة في التكاليف.

٤- الاعتماد على غير الكفاءات في الإدارة العليا:

المراكز القيادية في الإدارة العليا تشغل في معظم البلدان النامية عن طريقين:

إما عن طريق المؤيدين للطبقة الحاكمة مهما كانت أسس التأييد والانتماء وبصرف النظر عن قدراتهم الإدارية أو العلمية أو استعدادهم الذهنى والنفسى.

وإما عن طريق من ثبت نجاحهم في مواقع أخرى بصرف النظر عن اختلاف ظروف العمل، فقائد لإحدى الوحدات العسكرية أثبت نجاحاً في عمله ينقل ليعمل محافظاً لإقليم.

مثل هذا التفكير مخالف للمنطق وناتج عن عدم وجود معايير موضوعية تحكم التعيين في الوظائف القيادية.

٥- المركزية الشديه

يفضل الرؤساء في كافة الأجهزة الإدارية تركيز سلطة اتخاذ القرار في أيديهم مما يؤدى إلى حدوث اختناقات في العمل وإضعاف الكفاءات الإدارية الآخرى.

وهذا التركيز ربما يكون راجعاً إلى الخوف من تفويض السلطة أو عدم الثقة في المستويات الأدنى أو الرغبة في السيطرة والتحكم.. لكن الامر في النهاية يؤدى إلى تعطيل العمل وتعويق الإنتاج.

٦- عدم الاعتماد على الاساليب العلمية:

الاهتمام بالدراسات والأبحاث والتجارب الجديدة في مجال الإدارة لايجد اهتماماً كبيراً في معظم البلاد النامية ربما خوفاً من التكلفة العالية لهذه الابحاث وربما للجهل بها وربما للرغبة في الاخذ بالأساليب المضمونة والتى سبقت تجربتها.. ونظراً لأن أساليب الإدارة تتطور باستمرار فإن هناك فجوة علمية بين الدول المتقدمة والدول التى تسعى للنمو.. هذه الفجوة تخلق بدورها فجوة مماثلة في معدلات التنمية.

ومن المؤكد أن كل هذه العوامل قد أدت إلى وجود تنظيمات إدارية عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات التطور والتنمية، إلى ولاسبيل أمام البلاد الإسلامية للخروج من هذا المأزق إلا ببناء تنظيماتها الإدارية على أسس من القيم الإسلامية التى حفل بها القرآن الكريم وفصلتها السنة النبوية وكشفت التطبيقات العلمية على إختلاف مراحل الدولة الإسلامية طيب معدنها وأصالة جوهرها.

وإذا كان نجاح التنظيمات الإدارية يتطلب - كما يرى علماء الإدارة.

- وضع قواعد الهيكل التنظيمى.
- تحديد خطوط السلطة والمسئولية.
- تحديد نمط التسلسل الإدارى.
- وضمان التنسيق والاتصال الفعال بين كافة اجزاء التنظيم.

فإن المنهج الإسلامى قد أحاط كل هذه العمليات بسياج من القيم

والمبادئ والأفكار التى تمثل درعاً عملياً يحميها من الانحراف، ويضمن لها أداء دورها في خدمة عملية التنمية الإدارية.

ولنرى ذلك بشيء من التفصيل:

أ- القيم الإسلامية والهيكل التنظيمي:

يضع القرآن الكريم الأساس الشرعى للهيكل التنظيمى في البلاد الإسلامية ويحكم بناؤه من خلال العديد من الآيات القرآنية التى تعتبر نبراساً يضيء الطريق لمن أراد السير لتحقيق هذه الغاية النبيلة ومن هذه الآيات:

يقول تعالى:

﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾[١٤٢].

﴿ ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ﴾[١٤٣].

﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ﴾[١٤٤].

﴿ نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم ﴾[١٤٥].

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾[١٤٦].

---

(١٤٢) سورة الأنعام آية ١٦٥.

(١٤٣) سورة الأنعام الآية ١٣٢.

(١٤٤) سورة الزخرف الآية ٣٢.

(١٤٥) سورة يوسف الآية ٧٦.

(١٤٦) سورة المجادلة الآية ١١.

﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴾[١٤٧].

﴿ إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾[١٤٨].

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ﴾[١٤٩].

﴿ إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾[١٥٠].

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾[١٥١].

والمتأمل لهذه الآيات يخرج بملامح التنظيم الإدارى الإسلامى والمتمثلة في:

١ - الاختلاف والتباين بين الناس سبب لتقسيم العمل بينهم وتحقيق لمبدأ التخصص كل منهم حسب طاقته وقدراته وخبرته، كما أن الإسلام جعل الناس درجات يسخر الأعلى الأدنى في قضاء الأعمال التى تعود على المجتمع كله بالخير العميم، ولم يجعل الإسلام تسخير بعض البشر للبعض الآخر قائماً على جنس أو لون أو رغبة في التحكم والعلو، وإنما ربط التسخير بطبائع البشر وظروفهم وإمكاناتهم فجعلهم درجات بما

---

(١٤٧) سورة النحل الآية ٧١.

(١٤٨) سورة الكهف الآية ٣٠.

(١٤٩) سورة النساء الآية ٥٩.

(١٥٠) سورة آل عمران الآية ١٩٥.

(١٥١) سورة النحل الآية ٩٧.

اختلفوا من قوة وضعف وعلم وجهل، وجد وخمول، وغير ذلك من أوجه الاختلاف.

٢- إن مكانة الإنسان ودرجته تحدد بناءً على عمله وليس على حسبة أو نسبة أو قرابته لأصحاب السلطة كما يحدث في النظم الوضعية - ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾[١٥٢].

٣- إن العلم مقياس موضوعي للتفاضل في السلم الإدارى فكلما زادت درجة الإنسان العلمية يجب أن تزيد درجته الوظيفية.. ومن ثم فإن وضع الجهلاء على قمة السلم الإدارى في وجود أهل العلم يمثل خروجاً على منهج الإسلام في التنظيم الإدارى.

٤- أن مايتقاضاه الإنسان من أجر عن عمله يجب أن يعادل درجته في السلم الوظيفى فالدرجات العليا لها أعباؤها الضخمة وتبعاتها الثقيلة، ومن ثم يجب أن يكون الأجر مناسباً مع حجم هذه الأعباء.

﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾[١٥٣].

وهذه القيمة تمنع الشعور بالظلم وتجعل العامل يثق أن جهده لايضيع سدى وأنه ملاق ثوابه وسيأخذ ما يعطى بل يزاد في بعض الأحيان:

﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[١٥٤].

---

(١٥٢) سورة الانعام : الآية ١٣٢.

(١٥٣) سورة النحل : الآية ٧١.

(١٥٤) سورة النحل : الآية ٧١.

٥- إن مكانة الإنسان في السلم الوظيفى تفرض له نوعاً من الطاعة على من هم أقل درجة منه ضماناً لحسن سير العمل.. وهذه الطاعة كما يحاسب عليها الإنسان في الدنيا يحاسب عليها في الآخرة.

﴿ يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ﴾[١٥٥].

٦- التنظيم الادارى في الاسلام يتميز بالمرونة حسب ظروف كل مجتمع وحسب طبيعة العمل المؤدى فليس هناك ما يمنع من كان في درجة دنيا أن يرتفع إلى درجة أعلى، وما دام العامل قد أحسن ووصل إلى الكفاءة التى تؤهله لنيل الدرجة فالإسلام يفتح له الباب للتقدم والرقى.

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾[١٥٦].

٧- الرقى والتقدم في الهيكل الوظيفى لايفرق بين رجل وامرأة:

﴿ أنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾[١٥٧].

ب- تحديد السلطات والمسؤليات:

السلطة في أبسط تعريفاتها تعنى الحق في إصدار الأوامر للمرؤوسين بغرض القيام بعمل معين أو الامتناع عن عمل معين.

---

(١٥٥) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(١٥٦) سورة النحل : الآية ٩٧.

(١٥٧) سورة آل عمران : الآية ١٩٥.

وقد عرف "فايول" السلطة بأنهـا الحـق في إصـدار الأوامـر والقـدرة على الحصول على الطاعة أما "سيمون" فقد عرفها بأنها القدره على إتخاذ القرارات التى توجه تصرفات طرف آخر(١٠٨).

ويكتنـف تحديـد مفهـوم السـلطة صعوبـات كثـيرة ترجـع إلى تعـدد أشكال السلطه وتنوع مصادرها - إلا أنه يمكن القول أن المفهـوم السـائد هو المفهوم الشرعى الذى ينظر للسلطة على أنها مجموعة من الحقوق التـى يخولها المنصب أو الوظيفة لشاغلها والتى تعطى له الحق في إصـدار الأوامـر أو التعليمات إلى آخرين أقل منه في المستوى الإدارى ولهذا جـرى العـرف على اعتبار السلطة مرتبطة بالوظيفة لا بـالموظف فبقـدر مـاتحوى الوظيفـة من واجبات ومسئوليات تحتاج إلى سلطة رسميـة للوفـاء بهـذه الواجبـات، وأى تغيير يطرأ على هذه الواجبات يتطلب بالتالى تغييراً في السلطات.

والمنهج الإسلامى في فهمه لتعبـير السـلطة يـرى أنهـا تـأخذ شـكلين أساسيين:

- ***سلطة وظيفية***: تسـتند إلى المركـز الوظيفـى للقـائد وتظهـر علـى خريطة التنظيم وهى سـلطة مسـتمده مـن القـانون ويفرضهـا القـائد علـى مرؤوسيه بما يحقق الأهداف المرجوة.

- ***سلطة إقناعية***: يستمدها القائد من علاقات التنظيم غـير الرسـيمة التى يقيمها مع أعضاء التنظيم، تتمثل في التآلف والاندماج والحب المتبادل والصداقة الشخصية، وبموجب هذه السلطة يتقبل الأفراد قراراتـه وأوامـره بالإقتناع، ولذلك فالقـائد النـاجح هـو الـذى لايتخـذ قـراراً قبـل مناقشـة العاملين معه ومعرفة رأيهم وردود فعلهم نحو هذا القرار ومحاولـة إقنـاعهم به إذا رأى ضرورته أو الإقتناع برأيهم وإعادة النظر فيه.

---

(١٠٨) د./ السيد عليوة - صنع القرار السياسى- مرجع سابق ص١١٨.

ويرى البعض أن السلطة لها مفهوم أكثر إتساعاً.. إذ تعنى مختلف مصادر القوة التى يمكن بواسطتها التأثير على الآخرين والحصول على طاعتهم، ومن ثم تتعدد أشكال السلطة على النحو التالى:

- ***سلطة تقليدية***: مصدرها العرف ونظام القيم والتقاليدالسائدة في المجتمع.

ويمكن القول أن المنهج الإسلامى يقر هذا النمط ولايرفضه ولا أدل على ذلك مما حدث بعد فتح مكة فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (عثمان بن طلحة) وهو من حجبة البيت أن يأتيه بمفتاح الكعبة، فلما جاء به فتح البيت ودخله مكبراً معلناً انتصار الحق ثم خرج فأعاد المفتاح إلى عثمان مرة أخرى قائلاً له:

"خذوها خالدة مخلدة، إنى لم ادفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولاينزعها منكم إلا ظالم"

كانت سلطة الحجابة في أسرة عثمان بن طلحة نزولاً على التقاليد السائدة فلم يرفض الرسول، بل أقرهم عليها وأعلن أن من ينزعها منهم ظالم.

- ***سلطة المعرفة***: مصدرها هو المعارف والخبرات التى يتمتع بها البعض مما يجعل الآخرين يلجأون اليهم طلباً للنصح والمشورة مما يجعل لهم قدرة على التأثير في مجريات الامور.

ولقد عرف الإسلام هذا الشكل من السلطة وأقره، حينما بعث عمر المدد إلى العراق وعليه أبو عبيد بن مسعود الثقفى قال له:

"اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ واشركهم في الأمر"

ولعل موقف الصحابى المشهور أبى ذر الغفارى رضى الله عنه في عهد معاوية هو أبلغ دليل على ما كان لأصحاب العلم والمعرفة من سلطة

وقدرة على التأثير، حتى أنهم في بعض الأحيان حينما كان الامر يشتط ببعض الولاة أو الرؤساء يتغير أسلوب ممارستهم من النصح الهاديء إلى الزجر والتأنيب.

- السلطة البطولية "الكاريزماتية"

وهى السلطة الناشئة عن توافر قدرات خاصة لبعض الأفراد تجعلهم قادرين على التأثير في الآخرين دون أن تكون لديهم أية سلطات رسمية، ولعل هذا يتضح من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما طلب من أصحابه أن يدلوه على رجل يستعمله.. قالوا له وما شرطك فيه؟

قال: إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم.

وقد وضع الإسلام بعض القيم التى تحكم وتنظم السلطات وترشد عملها ومنها:

١- السلطة في الإسلام لاتمارس إلا في ضوء أحكام الله وسنة رسوله، ومن ثم فهى ليست شخصية، كما أنها لاتعنى التسلط على المرؤوسين، وهى في نفس الوقت لأولى الامر الذين أوجب الله طاعتهم.. يقول تعالى:

﴿ يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الله الرسول وأولى الامر منكم ﴾[١٠٩].

٢- السلطة في الاسلام توجب حق الطاعة للولى ما دام ملتزماً بمنهج الله ويعمل لمصلحته ويعبر عن ذلك أبو بكر الصديق حين يقول في خطبة الخلافة:

---

(١٠٩) سورة النساء - الآية ٥٩.

«أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم».

٣- السلطة في الإسلام لاتعرف الطاعة العمياء.. بل الطاعة المحكومة بقيم الإسلام:

«لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق»[١٦٠].

يقول أبو بكر الصديق:

"إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم"

- الطاعة بقدر الاستطاعة

يقول القرآن الكريم: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[١٦١].

وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أنه قال:

"كنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعتم"[١٦٢].

ويقول عليه السلام:

«سيليكم من بعدى ولاة، فيليكم البربره ويليكم الفاجر بفجره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق»[١٦٣].

٤- السلطة في الإسلام ليست للوجاهة أو النفوذ بل هى أمانة في عنق صاحبها تفرض عليه تبعات ضخمة.

---

(١٦٠) مسند الإمام أحمد.

(١٦١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦.

(١٦٢) رواه البخارى.

(١٦٣) رواه الشيخان بألفاظ مختلفة.

حينما ولى عمر بن الخطاب الخلافة قال:

"لو علمت أن أحداً أقدر منى على هذا الأمر لكان أن أقدم فتضرب عنقى أحب إلى من أن أليه"

ولذلك أبى عليه رضوان الله أن يختار ابنه للخلافة وقال.. للمغيرة ابن شعبة الذى زين له هذا: لا أرب لنا في أموركم وما حمدتها لأرغب فيها لأحد من بيتى.. إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد.

تفويض السلطة

يبدأ التفكير في تفويض السلطة عندما يزيد حجم العمل وتشعر جهة اتخاذ القرارت بكثرة الضغط الواقع عليها وبطء ايقاع العمل فتلجأ إلى التنازل عن بعض اختصاصاتها وسلطاتها للمستويات الإدارية الأدنى، وتفويض السلطة إجراء قانونى يتعهد بمقتضاه صاحب الاختصاص أن يتنازل عن جزء من اختصاصه إلى آخر في مستوى إدارى أقل على أن يمارس الاختصاص في حدود النص.

ولقد عرف النظام الإسلامى تفويض السلطة منذ عصر الرسول عليه السلام إذ استخلف بعض أصحابه في إدارة المدينة أثناء غيابه، ومن ذلك أنه أستخلف "سباع بن عرفطة الغفارى" عندما سار إلى خيبر، كما أناب بعض أصحابه في قيادة السرايا أثناء الفتوحات، وبعث عماله لجمع الصدقات.

واتسع نطاق تفويض السلطة في عهد الخلفاء الراشدين.. يؤكد ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

"ما كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، وما غاب عنا ولينا فيه أهل القوة والأمانة فمن يحسن نزده ومن يسيء نعاقبه، ويغفر الله لنا ولكم"[١٦٤].

إلا أن أسس تفويض السلطة تبلورت بوضوح في العصر العباسى يعرف الماوردى التفويض في الأحكام السلطانية وفقاً للمفهوم الإسلامى "أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضائها على اجتهاده[١٦٥]"

وتحكم عملية تفويض السلطة في النظام الإسلامى بعض القيم منها:

١- التفويض يجب أن يتضمن تحديد الاختصاصات ومن أمثلة ذلك.. كتاب هارون الرشيد ليحى البرمكى الذى يقول فيه:

"قد قلدتك أمر الرعية وأ خرجته من عنقى فاحكم في ذلك بما تراه من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وامض الامور على ما جرى"[١٦٦].

٢- التفويض لايسقط حق المفوض في الأشراف والمتابعة ولقد عنى الرسول ﷺ بمبدأ الإشراف والمتابعة على ولاته عناية فائقة وفي هذا يقول:

"أما بعد فإنى أستعمل الرجل منكم العمل فيما ولانى الله فيأتى فيقول:

هذا لكم وهذه هدية أهديت لى، أفلا جلس في بيت أمه وأبيه حتى تأتيه هديته"[١٦٧].

---

(١٦٤) جلال الدين السيوطى: تاريخ الخلفاء- الطبعة الرابعة- ١٣٨٩هـ ١٩٦٩ ص٧٧.

(١٦٥) الماوردى الأحكام السلطانية والولايات الدينية مكتبة الحلبى الطبعة الثالثة١٩٧٣ ص٢٢

(١٦٦) تاريخ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك - دار المعارف - الطبعة الثانية الجزء الثامن ص ٢٣٣.

(١٦٧) متفق عليه.

ولعل المقولة التى سبق ذكرها عن عمر بن الخطاب تؤكد هذا المعنى حيث يقول:

"أرأيتم لو أنى وليت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل آاكون قد قضيت ما على؟

قالوا بلى

قال لاحتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا"

ولقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه نموذجاً أمثل في هذا الشأن فلم يكن يكتفى باستقصاء ومراقبة تصرفات الولاة و لم يكتف بالاجتماع السنوى الذى كان يعقده خلال موسم الحج للاجتماع بهم.. فشكل جهازاً رقابياً للتحقق من أعمال الولاة وفحص الشكاوى التى تقدم من الرعية وكان على رأس الجهاز الصحابى الجليل محمد بن سلمة.

٣- يجب أن يكون المفوض إليه أهلاً لتولى المسئولية ويجب أن تتوافر فيه كل الشروط المطلوبة في المفوض.. يقول الرسول عليه السلام لأبى ذر حينما طلب الولاية:

"إنى أحب لك ما أحب لنفسى، وإنى أراك ضعيفاً فلا تأمرن على اثنين ولا تولين على مال اليتيم"

ويقول على بن أبى طالب للأشتر النخعى:

"اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لاتضيق به الأمور، ولاتمحكه الخصوم ولايتمادى في الذلة، ولايحصر من الفيء إلا الحق إذا عرفه، ولاتشرف نفسه على طمع، ولايكتفى بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، واخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرفهم عند اتضاح الحق، من

لايزدهيه اجراء ولا يستميله اغراء"[١٦٨].

٤- التفويض لايعنى تفويض المسئولية.. إذ أن مسئولية المفوض عن أعمال المفوض إليه تظل قائمة.

يقول الرسول ﷺ:

«من أطاع أميرى فقد أطاعنى، ومن عصى أميرى فقد عصانى»[١٦٩].

ولقد كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ولاة في كل الولايات لكنه كان يعتبر نفسه مسئولاً عن كل ما يحدث في أرجاء الدولة الإسلامية، وفي ذلك يقول قولته المشهورة:

"لو أن بغلة عثرت في العراق لسألنى الله عنها، لم لم تمهد لها الطريق ياعمر؟"

٥- التفويض لايتم إلا إذا كان المكلف بالعمل غير قادر على القيام به، ويجوز له الاستخلاف جزئياً فيما لايقدر عليه أما إذا كان وقت المكلف بالعمل وإمكانياته تسمح له بتنفيذه فلا يحق له التفويض.

٦- للمفوض الحق في إنهاء التفويض في حالة تجاوز من يفوضه الحد المسموح به أو تجاوزه الاختصاصات المحددة، وله أيضاً الحق في مجازاته إذا أساء استعمال السلطة ومن أمثلة ذلك:

عزْل أبى بكر الصديق لخالد بن سعيد العاص حيث كان رجلاً فخوراً يُحمل أمره على النقص[١٧٠].

---

(١٦٨) الشيخ محمد عبده - نهج البلاغة دار المعارف بيروت الجزء الثالث ص٩٤.

(١٦٩) الإمام أحمد والبخارى ومسلم - عن أبى هريرة.

(١٧٠) أبو الحسن البلازرى - فتوح البلدان المكتبة التجارية الكبرى الطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ص ١١٦.

وأيضاً قيام عمر بن الخطاب بتوبيخ عمرو بن العاص ومعاقبته وابنه على ضرب المصرى الذى سبقت فرسه فرس محمد بن العاص وهو يردد كلمته التاريخية المشهورة:

"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

المسئولية

المسئولية هى الوجه الأخر للسلطة، وتعنى الالتزام بتنفيذ التعليمات والقيام بالأعمال في ضوء القواعد المعمول بها بغرض تحقيق الأهداف المطلوبة.

والمسئولية قد تكون مستمرة ومرتبطة بالوظيفة التى يشغلها المسئول وقد تكون مؤقته مرتبطة بمدة معينة أو موقف معين.

وإذا كانت السلطة تفوض فإن المسئولية لاتفوض، وحتى إذا قام شخص بتفويض بعض اختصاصاته إلى أخر فإنه يظل مسئولاً عن نتائج الأعمال التى فوض فيها، ويتحمل مسئوليتها رغم مسئولية الآخر عن هذه الأعمال.

والمسئولية في الإسلام تقوم على المفهوم الأخلاقى وهذا يتطلب:

أولاً: أن تكون المسئولية متوافقة مع المبادئ الأخلاقية في الاشخاص القائمين عليها.

ثانياً: أن تؤدى إلى خلق مباديء جديدة، تساعد على تنمية روح الولاء للمجتمع وتقوية الدوافع النفسية التى تشعل الحماس لتحقيق الهدف.. والقدرة على تحمل المسئولية تتوقف على المعرفة بالجوانب الأخلاقية في الاشخاص، فهناك أشخاص يمكن الإعتماد عليهم وتحميلهم المسئولية، وأشخاص تتنافى أخلاقياتهم مع أمانة المسئولية، فالمدير الذى

تقع عليه تهمة ما فيلجأ إلى تزوير أوراق تحميه لتلقى التهمة على غيره هو مدير يخون أمانة المسئولية، وطبقاً للمنهج الإسلامى فإنه إما أن يستغنى عنه أو تزرع فيه مباديء أخلاقيه جديدة تساعده على تحمل هذه الأمانة.

ولذا فعند تكليف شخص بمسئولية معينة يجب مراعاة أن هذه المسئولية مقبولة عنده، بمعنى أنها تتمشى مع قيمه وأخلاقياته، وعادلة بمعنى أنها تتمشى مع القواعد الأخلاقية الإسلامية .. ولقد رفع الإسلام منزلة هؤلاء الذين تحملوا المسئولية بمفهومها الأخلاقى "سئل إبراهيم النخعى أحد أئمة التابعين عن التاجر الصدوق أهو أحب أليك أم المتفرغ للعبادة، قال: التاجر الصدوق أحب إلى لأنه في جهاد يأتيه الشيطان عن طريق المكيال والميزان، ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده[١٧١].

جـ- تحديد نمط التسلسل الإدارى:

يقدم لنا الفكر الإدارى ثلاثة أنماط للتسلسل الإدارى:

١- نمط التنظيم الرأسى.

٢- نمط التنظيم الاستشارى

٣- نمط التنظيم الوظيفى

- نمط التنظيم الرأسى:

يرتكز على قاعدة التدرج الهرمى حيث يقبع الرئيس على قمة الجهاز الإدارى وتصدر منه جميع التعليمات والقرارات إلى باقى الرؤساء بالمنظمة، وبمقتضى هذا التنظيم تتسلسل المستويات الإدارية فى خط تنازلى لاينقطع مما يساعد على وحدة الأمر ووضوح السلطة والمسئولية.. ويصبح الرئيس الأعلى هو مصدر السلطة وإليه ترجع كل الأمور.

---

(١٧١) أنظر د./ يوسف القرضاوى مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ٤٣.

– أما نمط التنظيم الاستشارى:

فيرتكز على الاستعانة بالاستشاريين الذين يقدمون التوصيات والاقتراحات قبل إتخاذ القرارت بشأنها وفي هذا النمط قد تتجه السلطة من أسفل إلى أعلى حيث أن الجهة الاستشارية تمتد سلطتها إلى الإدارة العليا.. إلا أن هذه السلطه ليست سلطة آمرة بل هى سلطة تأثير ونفوذ.

– النمط الثالث: وهو نمط التنظيم الوظيفى:

يرتكز على التخصص وتقسيم العمل، وتستمد السلطة فيه من الخبرة والمعرفة الدقيقة بجوانب الوظيفة التى شغلها الفرد ولذلك تسمى سلطة وظيفية، وبقدر أهمية الوظيفة تتحدد السلطات الممنوحة لشاغلها.

ولقد عرف الإسلام الأنماط الثلاثة للتسلسل الإدارى عرف التنظيم الرأسى (الهرمى) في قيادة الجيوش وفي نظام الخلافة الإسلامية، وفرض الله سبحانه وتعالى الطاعة للحاكم أو الرئيس يقول الرسول علية السلام:

«اسمعوا وأطيعوا ولو ولى عليكم عبد كأن رأسه الزبيبة»[١٧٢].

كما عرف التنظيمات الاستشارية، وتميز نظام الإدارة الإسلامية بالاستخدام الواسع للهيئات الاستشارية المتخصصه.

يقول تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[١٧٣].

ويقول جل شأنه: ﴿وشاورهم في الأمر﴾[١٧٤].

ولقد أخذ التجسيد العملى لهذا النمط أرقى صوره فيما عرف بمجلس الشورى الذى كونه النبى عليه السلام في المدينة من أربعة عشر

---

(١٧٢) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(١٧٣) سورة الأنبياء الآية ٧.

(١٧٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

نقيباً مناصفة بين المهاجرين والانصار، يجرى اختيارهم من بين أهل الرأى والحكمة وقوة الإيمان، وكان الرسول ﷺ يلجأ إلى هذا المجلس طالباً نصحه ورأيه في مختلف القضايا التى تهم المسلمين والدولة الإسلامية[١٧٥].

أما النمط الوظيفى فقد ساد الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين والعصور التالية حيث أخذ التنظيم شكلين:

- تنظيم إقليمى إذ قسمت الدولة إلى ولايات ومقاطعات.

- تنظيم مصلحى طبقاً للخطة العامة سواء كانت مصلحة مركزية أو أقليمية (الدواوين)، وقد اتسع نظام الدواوين بعد عصر الخلفاء الراشدين وزادت اختصاصات بعض القائمين على أمر هذه الدواوين وأتسع نطاق اللامركزية (تفويض السلطة).

ضمان التنسيق والاتصال الفعال بين كافة اجزاء التنظيم

التنسيق وظيفة إدارية يقصد بها دفع الحيوية في أوصال الجهاز الإدارى من خلال التوفيق بين أنشطة الجماعة لتحقيق أغراض التنظيم، والهدف الأساسى لهذه الوظيفة تحقيق الإنسجام والتفاعل بين أجزاء التنظيم وبعضها البعض ومنع حدوث التشابك والتداخل والازدواج.. ويؤكد "ليونارد هوايت" أن التنسيق عملية لاتنتهى وهى جزء لايتجزء من مسئوليات ووظائف الإدارة وهى عملية تتم على كافة المستويات وفي جميع الإتجاهات.

وقد كشف الفكر التنظيمى عن أساليب عدة لتحقيق التنسيق منها:

١- الاجتماعات التنظيمية

٢- اللقاءات الدورية

٣- هيئات التنسيق المتخصصه

---

(١٧٥) أنظر د./ عبد الحميد بهجت "الادارة العامة" الفصل الحادى عشر.

٤- لجان التنسيق

أما الأدوات التنظيمية لتحقيق التنسيق فهى:

١- السجلات

٢- الخرائط التنظيمية

٣- أدلة التنظيم "كتيبات صغيرة"

٤- شبكات الأتصال "وسائل سمعية وبصرية"

المبادئ التى تحكم عملية التنسيق:

١- مقابلة الاحتياجات الملحة (التركيز على الضرورى فقط)

٢- التنسيق المبكر منذ اللحظة الأولى لمباشرة العمل الإدارى (التنسيق بين الخطط)

٣- الاستمرارية. ٤- الاتصال الشخصى المباشر

وهناك أشكال متعددة للتنسيق منها:

- التنسيق بالإجراءات
- أى تحديد خريطة الاجراءات المتصلة بنشاط معين.
- التنسيق بالسياسات
- التنسيق بالأهداف (رئيسية - فرعية) والربط بين الاهداف والموارد. من ناحية أخرى يمكن تقسيم أشكال التنسيق إلى تنسيق بالقرارات وتنسيق بالرأى.

ولقد وضع الإسلام كثيراً من القواعد والأسس التى تضمن التنسيق السليم وتحقق الانسجام والتفاعل بين أجزاء أى تنظيم يعمل في ظل المفهوم الإسلامى منها:

١- وضوح الأهداف ودقتها:

وضوح الهدف يقدم الرؤية السليمة لكافة الأجراءات التى تتخذ والجهود التى تبذل ومن المبادئ المعروفة أنه كلما زادت المعرفة زادت

القدرة على التصرف السليم فالفرد العارف لأبعاد ونتائج المهمة المكلف بها خير من فرد يساق إلى مهمة لايعرف عنها شيئاً

لهذا يقول القرآن الكريم:

﴿أفمن يمشي مكبًا على وجهه أهدى أمَّن يمشي سويًا على صراط مستقيم﴾[١٧٦].

٢- سياسة الباب المفتوح

عرف الإسلام نظام الأتصالات الفعال بين كافة أجزاء الدولة وفقاً لمبدأ الأبواب المفتوحة الذى أخذ به معظم أولى الامر في البلاد الإسلامية، حتى أنه كان يمكن لأى مسلم أن يتقدم بشكواه إلى الخليفة ضد أى حاكم أو والى كائناً من كان. ولعل لنا في قصة المصرى الذى شكا عمرو ابن العاص وابنه إلى الخليفة العادل عمر بن الخطاب خير دليل على سياسة الأبواب المفتوحة التى أتبعت في الدولة الإسلامية على اختلاف أزمنتها، ولقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعقد اجتماعاً سنوياً للولاة خلال موسم الحج وفي هذا الإجتماع كان يستمع إليهم ويناقشهم ويوجه إليهم التعليمات والتحذيرات ويشاركهم في حل المشكلات التى تعترضهم تحقيقاً للانسجام والتألف بين الأجهزة الإدارية في الدولة.

٣- الرجل المناسب في المكان المناسب:

يقول الرسول ﷺ:

«من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين فقد خان الله ورسوله»[١٧٧].

---

(١٧٦) سورة الملك الآية ٢٢.

(١٧٧) مسند الإمام أحمد.

ومن أمثلة ذلك أن الرسول ﷺ ولى أسامه بن زيد قيادة جيش المسلمين وهو دون العشرين لإعتبارات قدرها عليه السلام في كفاءته وقدرته على إدارة المعركة وبعد وفاة الرسول وخروج جيش أسامه في عصر الصديق أبى بكر أثبت أن اختيار الرسول كان إلهاماً وكان أسامه هو الرجل المناسب في المكان المناسب.

التنسيق المبكر منذ اللحظة الأولى لمباشرة العمل الإدارى.. حيث كان التنسيق يبدأ مع تحديد المهمة أو الهدف ومن ذلك أن الرسول ﷺ حينما أرسل وفداً لجمع الصدقات من اليمن أرسل معه كتاباً إلى زرعه بن ذى يزن يقول:

«إذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك بن مروة وأصحابهم، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية وأبلغوهم رسلى وأن أميرهم معاذ ابن جبل».

كما أن الرسول ﷺ حينما كان يرسل الجيوش كان يحدد القائد فإذا استشهد فيخلفه أخر فإذا استشهد فيخلفه ثالث ضماناً لعدم التنازع أو التضارب في الإختصاصات كما كان يحدد لكل فرد دوره بوضوح تام.. فعند تعيين وال أو عامل كان كتاب تكليفه الذى يحمله معه يتضمن تحديداً واضحاً لسلطاته ومسئولياته وقبل أن يبرح العامل المدينة مباشرة يجتمع المواطنون في المسجد ويقرأ على الملأ الأمر أو عهد التعيين ليعرف كل مواطن حقيقة سلطات الولاة والعمال ويتعاونوا معهم في إنجاز المهام التى أوكلت إليهم.

وللحقيقة فإن الإسلام يعتبر من أرقى الأنظمة في مجال التنسيق منعاً لأى تضارب بين الأحكام والقواعد التى تحكم الأنشطة المختلفة، ولعل النظرة للتنظيم ككيان متكامل يخدم بعضه بعضاً ويؤثر كل جزء فيه على

باقى الأجزاء – هذه النظرة المستمدة من قول الرسول عليه السلام "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"..... إنما تحوى مباديء التنسيق والتنظيم التى بنيت عليها الإدارة الحديثة والمتأمل لأحداث الهجرة النبوية يجد فيها أرقى أسس التنسيق التى بدأت قبل الهجرة واستمرت معها حتى حققت أهدافها بنجاح.

قبل الهجرة أراد أبو بكر الصديق رضى الله عنه أن يخرج مع المسلمين مهاجراً فطلب منه عليه السلام الانتظار قائلاً له (لعل الله يجد لك صاحباً) فكانت هذه إشارة البدء للصحابى الجليل للاستعداد للهجرة.. فبدأ يعد العدة لها.. ويوفر كل مستلزماتها. حتى جاء الأمر من الله لرسوله بالهجرة، حددت الأهداف ووزعت الأدوار بتنسيق رائع وتنظيم متكامل.

تكفلت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها بمهام الإمداد والتموين فكانت تحمل الطعام للرسول وصاحبه في سرية تامة.. كما ساهم عامر ابن فهيرة في عملية الإمداد فكان يذهب ليلاً ويمد المهاجرين العظيمين بحاجتهما من اللبن الذى كان هو الطعام الرئيسى آنذاك كما تكفل بمهمة أخرى وهى إخفاء أثرهما عن عيون قريش حيث كان يتبعهما في الطريق الذى يسلكانه ويسير خلفهما بغنمه ليزيل آثار الاقدام وكذلك كان يفعل بعد كل رحلة لأسماء وعبد الله بن أبى بكر الذى تكفل بدور رجل الاستطلاع فكان يبيت مع الرسول وصاحبه في الغار ويصبح مع قريش وكأنه بائت معهم ثم يعود ليلاً بأخبار قريش إلى الغار، في نفس الوقت كان عبد الله بن أريقط دليل الهجرة الأمين وخبير الصحراء البصير يتولى في يقظة وحرص قيادة الموكب في طريقه من الغار إلى يثرب.. وتكفل على بن أبى طالب رضى الله عنه بمهمة الخداع والتمويه بالنوم في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة. كما تكفل بإرجاع الأمانات التى كانت لدى

الرسول ﷺ إلى أصحابها، ولو تأملنا هذه التكليفات نجد أن الأمور قد سارت على نحو دقيق فوضع كل شخص في مكانه المناسب وسدت جميع الثغرات وغطيت كل مطالب الرحلة واقتصر الأمر على العدد اللازم دون زيادة أو إسراف، وجرى التنسيق فعالاً بين الجميع فلم يحدث أن تداخلت الاختصاصات أو تضاربت المهام.

ثالثاً: تنمية النظم الإدارية:

إحداث تنمية في النظم التى تحكم العمل في الأجهزة الإدارية أمر في منتهى الأهمية لإحداث النقلة الحضارية المطلوبة في المجتمعات الإسلامية.. إذ أن هذه النظم بشكلها الحالى تقف عائقاً في سبيل التطور والتقدم.. إن نظم الخدمة المدنية التى تقوم على إعطاء الوظائف للأنصار والأصحاب أو التى تعتمد على المحسوبية والوساطة في شغل الوظائف الأساسية في الدول لايمكن أن تساعد على تحقيق التنمية.. كما أن النظم البالية في الإجراءات والأساليب الإدارية والتى لاتتفق مع روح العصر تقف حواجز ضد التطور والتنمية، إن تحقيق التنمية وفق القيم الحقيقية للمجتمع وفي إطار الشرعية يفرض ضرورة تطوير هذه النظم بما يخدم عملية التنمية.

ولقد وضع المنهج الإسلامى كثيراً من القيم التى تضمن الارتقاء بنظم الإدارة في المجتمعات الإسلامية.. ولنقف مع نماذج منها في المجالات الآتية:

١- الاختيار للوظائف ٢- الأجور والمرتبات

٣- الحوافز والجزاءات

١- في مجال الاختيار للوظائف:

الوظيفة مجموعة من الواجبات والمسئوليات تسندها السلطة المختصة إلى أحد الأفراد ليؤديها كل الوقت أو بعضه[١٧٨].. وتختلف الأسس التى

---

(١٧٨) د./ السيد عليوة "صنع القرار السياسى مرجع سابق ص١١٠.

يتم على أساسها إنشاء الوظائف وشغلها حسب المناخ الذى يعمل فيه التنظيم.. ففى اليابان يتم الاختيار للوظائف بالأصل الاجتماعى الطبقى وبناء على ذلك فإن أبناء الطبقة الاجتماعية العليا هم الذين يسيطرون على الوظائف العليا في الجهاز الإدارى "يقول الدكتور إبراهيم درويش أنه في الفترة بين ١٩٥٠ - ١٩٦١ كان أكثر من ثلاثة أرباع الذين يشغلون هذه الوظائف من خريجى جامعة طوكيو الأمبراطورية، والذين يتمكنون من دخول هذه الجامعة هم أبناء الطبقة الاجتماعية العليا ونسبة قليلة من أبناء الطبقة فوق المتوسطة"[١٧٨].

وقد ترتب على هذا أن الموظف الياباني ينظر إلى نفسه بمظهر السيد في علاقاته بالمجتمع وبأفراد الشعب ويتصرف في وظيفته على هذا الأساس.

وفي فرنسا يرتبط الاختيار للوظائف بالنظام التعليمى ومن ثم فإن الوظائف العليا قاصرة على أصحاب المؤهلات التعليمية العليا بصرف النظر عن الكفاءة أو الموهبة أو العوامل الأخرى، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يخضع الاختيار للوظائف إلى نظام الغنائم، وهو ما يعنى قصر الوظائف العامة على طائفة معينة تمثل الحزب الحاكم أو الطبقة الحاكمة.. وهذا النظام أوجده الاستعمار الإنجليزى الذى كان يسعى إلى حجز الوظائف المدنية الهامة للأنجليز بصرف النظر عن شروط الكفاية أو التأهيل العلمى طبقاً للسيطرة على الشعب.

وبعد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية انتقل نظام الغنائم إلى الأحزاب، حيث يحشد الحزب الحاكم أنصاره في الوظائف العامه ثمناً لهم على التأييد السياسى، حتى أن الحزب الحاكم حين كان يخسر الانتخابات

---

(١٧٨) د./ ابراهيم درويش - التنمية الإدارية - النهضة العربية القاهره سنة ١٩٨٢ ص٣٧.

يندفع في اللحظات الاخيرة لبقائه في السلطة إلى تعيين أنصاره في المناصب الهامة، ولعل من أشهر هذه المواقف تعيينات منتصف الليل التى قام بها الحزب الإتحادى سنة ١٨٠٣ بتعين عدد كبير من رجال القضاء عند منتصف أخر ليلة له في الحكم، فلما جاء الحزب الجمهورى في اليوم التالى رفض تسليم هؤلاء القضاه مناصبهم مما أحدث أزمة إدارية وسياسية هامة حيث رفع أحد هؤلاء قضية أمام المحكمة العليا التى قررت الأخذ بمبدأ دستورية القوانين[١٨٠].

وفي معظم الدول النامية يتم الاختيار للوظائف العامه من غير المتخصصين وأصحاب القدرات الإدارية فشغل هذه الوظائف يتم على أساس الوساطة والمحسوبيات والانتماء للطبقة الحاكمة أياً كانت أسس هذا الانتماء.

أما الإسلام فيضع العديد من القيم التى تحكم عملية إنشاء الوظائف وشغلها نذكر منها:

١- الوظيفة خدمة عامة تجلب من المسئولية أكثر مما تحمل الغنائم:

حينما طلب أبو ذر من الرسول ﷺ أن يوليه.

قال عليه السلام:

«يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليها»[١٨١].

٢- الوظيفة تكليف وليس تشريف:

يقول الرسول ﷺ:

---

(١٨٠) المرجع السابق ص ٤٤.

(١٨١) رواه مسلم.

«من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأحتجب عن حاجتهم، احتجب الله عن حاجته يوم القيامة»[١٨٢].

٣- الوظيفة في الإسلام لمن يستحقها وليس لمن يطلبها

روى عن أبى موسى الأشعرى أنه قال:

"دخلت على النبى ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى فقال أحدهما: يا رسول الله أمرنا على بعض ماولاك الله عز وجل، وقال الآخر مثل ذلك فقال عليه السلام إنا والله لانولى هذا العمل أحداً يسأله أو أحداً حرص عليه"[١٨٣].

لكن هذا المفهوم لاينفى أن هناك من رشحوا أنفسهم لوظائف كانوا أحق بها فنالوها .. مثال ذلك ترشيح خالد بن الوليد لنفسه قائداً لجيش المسلمين في معركة اليرموك.

٤- بناء التنظيم على أساس الوظائف وليس الأشخاص، يقول الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة حينما طلب منه الإمارة "يا عبد الرحمن ابن سمرة لاتسأل الإمارة فإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها"[١٨٤].

ومن هذا الحديث نستدل على أن الوظيفة إذا وضعت خصيصاً لشخص معين فإنها تكون عبئاً على التنظيم، أما إذا كانت موضوعة على أسس موضوعية فإن إسنادها لشخص معين يعين عليها ويجعل شغلها خدمة للتنظيم.

---

(١٨٢) رواه أبو داود والترمذى.

(١٨٣) رواه البخارى ومسلم.

(١٨٤) رواه البخارى عن عبد الرحمن بن سمرة.

٥- شغل الوظائف في الإسلام يخضع لشروط عامة وشروط خاصة الشروط العامة حددها الإسلام في مفهومى القوة والأمانة:

يقول القرآن الكريم على لسان ابنة شعيب حين رشحت موسى عليه السلام للعمل عند والدها ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾[١٨٥].

ومن المأثورات الإسلامية في هذا المجال أن سيدنا عمر، وعثمان وعلى رضى الله عنهم حينما دخلوا مكان الصدقة، فجلس عثمان يكتب في الظل وبجواره على يملى عليه ما يقول عمر الذى ظل واقفاً في الشمس في يوم شديد الحر، وهو يتفقد إبل الصدقة يكتب ألوانها وأشكالها، فقال على لعثمان: (أما سمعت قول ابنة شعيب في كتاب الله عز وجل

﴿إن خير من أستأجرت القوى الأمين﴾

وأشار إلى عمر وقال: (هذا هو القوى الأمين).

أما الشروط الخاصة فهى تختلف من وظيفة لأخرى فالوظائف المالية تتطلب دراية وإلماما بالشئون المالية، والوظائف العسكرية تتطلب الشجاعة والإلمام بفنون الحرب ووظائف القضاء تتطلب العدالة والتفقه في أمور الدين..الخ.

وقد أوضح ذلك القرآن الكريم فحينما طلب عزيز مصر من يوسف عليه السلام أن يتولى ما يشاء من الوظائف قال:

﴿اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم﴾[١٨٦].

---

(١٨٥) سورة القصص الآية ٢٦.

(١٨٦) سورة يوسف : الآية ٥٥.

وهنا تحددت الصلاحية لوظيفة وزير الخزانة في العلم بإدارة الأموال والأمانة في الحفاظ عليها.

كما حدّد سيدنا موسى عليه السلام الشروط الواجب توافرها في مساعدته لدعوة قوم فرعون إلى الأيمان بالقصاحة وسعة الصدر وقوة التحمل.

وقال ﴿رب إني أخاف أن يكذبون، ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون﴾[١٨٧].

٦- **الوظيفة أمانة** وشغلها يجب أن يتم على أساس الكفاءة وليس على أساس المحسوبية.

عن أبي هريرة رضى الله عنه.. أن النبى ﷺ قال: "إذا ضيعت الأمانة فأنتظروا الساعة" قالوا: وما ضياعها يارسول الله قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فأنتظرو الساعة"[١٨٨]

٧- **الأختيار للوظائف العامة** يجب أن تسبقه بعض الأختبارات لتحديد مدى الصلاحية .. روى أنه عندما أسند الرسول عليه السلام منصب القضاء إلى معاذ ابن جبل رضى الله عنه سأله بما تقضى يا معاذ؟

أجاب بكتاب الله

قال فإن لم تجد؟

قال بسنة رسول الله

قال فأن لم تجد ؟

قال أجتهد رأيى ولا ألو.

---

(١٨٧) سورة الشعراء الآيتان ١٢، ١٣.

(١٨٨) رواه البخارى.

فقال رسول الله عليه السلام: (الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله).

وروى أن كعب بن سور كان جالساً عند عمر رضى الله عنه عندما جاءته امرأة تشكو زوجها فقال لكعب اقض بينهما، فلما قضى بما اعتقد أنه الصواب أعجب به وقال له إذهب قاضياً على البصرة[١٨٩].

٨- الاختيار للوظائف يجب أن يسبقه نوع من التوجيه والتدريب:

حينما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «يسر ولا تعسر، وبشرولاتنفر، وانك ستقوم على قوم من أهل الكتاب يسألونك مامفتاح الجنة فقل شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له»[١٩٠]

٩- الاختيار للوظائف يتطلب المتابعة والتقييم:

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه مخاطباً أصحابه:

أرأيتم لو أستعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما على؟

قالوا نعم يا أمير المؤمنين ..

قال لاحتى أنظر فى عمله أعمل بما أمرته أم لا.

ومن توجيهات عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما قوله:

"إن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيته وإياك أن تزيغ فتزيغ عما لك، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة، نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغى

---

(١٨٩) راجع د./ محمد عبد المنعم خميس - الإدارة في صدر الإسلام - ص ١٢١.

(١٩٠) السيرة النبوية لابن هشام - الجزء الرابع - ص ١٧٥.

بذلك السمن وإنما حتفها فى سمنها"[١٩١].

نظرة سريعة إلى هذا الحديث توضح :

أن عمر بن الخطاب يقدم توجيهات شديدة لمن اختاره للولاية وهذه التوجيهات تتضمن قيماً إدارية رائعة منها:

١- العمل على إسعاد المرؤوسين والرعية

٢- القدوة الحسنة

٣- تنمية روح المسئولية واليقين بأن إرضاء الرعية فى الحق إرضاء لله.

٤- التريث وأخذ الأمور بالحكمة فإن فى التسرع الهلاك.

٥- القناعة والرضا بالمقسوم فربما فى الطمع الموت أو الضياع .

(١٠) الاختيار للوظائف يتطلب إشراك المرؤوسين فى اختيار الرئيس يقول مالك بن أنس رضى الله عنه : لعن رسول الله ثلاثة:

" رجل أم قوماً وهم له كارهون .... "[١٩٢] إلى أخر الحديث: والإمامة هنا ليست مجرد إمامة الصلاة بل تنسحب على الإمامة العامة وتولى الوظائف القيادية، وهذا الحديث دعوة لأخذ رأى المرؤسين فيمن يتم اختياره لقيادتهم أو على الأقل تجنب عدم رضائهم عنه وهذا المبدأ تنادى به كل النظريات الإصلاحية الحديثة.

(١١) الاختيار للوظائف يتطلب عدم التسرع والحذر وعدم الاستجابة للضغوط والمؤثرات غير الموضوعية:

قال الرسول ﷺ:

«من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح

---

(١٩١) راجع أبو يوسف الخراج ص ٥٠.

(١٩٢) راوه الترمذى.

للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله»[١٩٣].

(١٣) شغل الوظائف يتضمن حق الفصل من الوظيفة

من المشهور فى التاريخ الاسلامى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد عزل عمار بن ياسر وخالد بن الوليد رغم مالهما من مكانة وقدرة وتاريخ مشرف ، وذلك حينما رأى أن مصلحة المسلمين تقضى بذلك، لم يكن هذا الفصل نتيجة تقصير أو عدم كفاءة، وإنما لإن ظروف العمل في هذا الوقت تتطلب اتخاذ هذه الاجراءات التى تقبلها أصحابها بصدر رحب لأنهم كانوا يؤمنون أنها لم تتم لعدوات شخصية أو تصفية حسابات، وإنما لمصلحة عامة ترضى الله ورسوله[١٩٤].

هذه بعض القيم التى تحكم إنشاء الوظائف وشغلها كما يوضحها المنهج الإسلامى في الإدارة، وهى قيم كفيلة بتحقيق الخير للأفراد وللمجتمع يقول الرسول ﷺ:

"إذا أراد الله بقوم خيراً ولى عليهم خلصاءهم وقضى بينهم علماؤهم وجعل المال في سمحائهم وإذا أراد بقوم شراً ولى عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهالهم وجعل المال في بخلائهم"

الاجور والمرتبات

الاجر هو المقابل الذى يتقاضاه الموظف نظير العمل الذى يقوم به، ويرتبط الأجر بمعدلات الأداء الموضوعة، ويعرف معدل الأداء بأنه متوسط حجم العمل الذى يقوم به الشخص العادى في وقت معين، فإذا وصل الموظف إلى هذا المعدل الموضوع فإنه يستحق أجراً، أما إذا زاد عن ذلك فإنه يستحق حافزاً اضافياً.

---

(١٩٣) مسند الإمام أحمد.

(١٩٤) لمزيد من التفاصيل راجع العقاد عبقرية عمر فصل تحت عنوان (عمر والصحابة).

والمنهج الإسلامي يجعل الأجر حقاً للعامل ويفرض على صاحب العمل أن يدفعه له، يقول تعالى:

﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾[١٩٥].

ويقول الرسول ﷺ:

«من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يستعملن أجيراً حتى يعلمه أجره»[١٩٦].

ويقول «اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[١٩٧].

والإسلام يشترط الأجر المناسب للعامل، وهو ما يكفي حاجته وحاجة من يعول، وقد كان الرسول ﷺ يحدد الأجر بما يتناسب مع أعباء الوظيفة وحجم العمل ومن ذلك ما قرره صلى الله عليه وسلم عندما استعمل "غياب بن أسد" والياً على مكه، فقد قدر له كل يوم درهماً وكان هذا الأجر يحقق مبدأ الكفاية، حتى أن غياب بعد أن تقرر له هذا الأجر قام في الناس خطيباً وقال:

"يأيها الناس أضاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم، فلست في حاجة إلى أحد.

ولقد أضاف أبو بكر رضى الله عنه مبدأً هاماً حين تولى الخلافة، فقد فرض للعامل ما يشبه إعانة غلاء المعيشة، إذ أنه راعى الأعباء العائلية،

---

(١٩٥) سورة الأحقاف الآية ١٩.

(١٩٦) رواه عبد الرازق عن أبي سعيد الخدرى.

(١٩٧) رواه ابن ماجه عن ابن عمر.

فكان الأعزب يعطى نصيباً واحداً والمتزوج يعطى نصيبين نظيراً لإعالته زوجته.

أما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبعد أن أنشأ الدواوين فرض لكل مولود عطاء يضاف إلى عطاء أخيه قدره مائة درهم، وكلما نما المولود زاد العطاء، وكان هذا تأكيداً لمبدأ الكفاية، وهو حق لكل موظف في أن يكون له من الاجر ما يستغنى به عن التماس أى مادة أخرى تقعده عن العمل ومواصلة الجهاد.

ولقد ضرب لنا التاريخ الإسلامى مثلاً رائعاً في وضوح هذا المعنى في قصة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه بعد أن تولى الخلافة، فقد خطب في الناس قائلاً: (أيها الناس، لقد كنت أعمل لعيالى وأنا الان أعمل لكم، فاجعلوا لى من بيت مالكم شيء).

ففرضوا له كل عام مائتين وخمسين ديناراً وكل يوم شطر شاه، ولما وجد أن هذا لايكفى عياله أصبح غادياً في السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب، فقالا له:

أين تريد يا خليفة رسول الله؟

قال: السوق.

قال: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟

قال: فمن أين أطعم عيالى؟

ولما عرضا عليه زيادة راتبه قال لهما: أنتما رجلان من المهاجرين لاأدرى أيرضى بها بقية المهاجرين أم لا؟ فذهبوا جميعاً إلى المسجد وارتقى أبو بكر المنبر وعرض الأمر كله على المهاجرين فوافقوا عليه، وقال إعرابى من جانب المسجد لاوالله ما رضينا، فأين حق أهل البادية؟

قال أبو بكر: إذا رضى المهاجرون شيء فإنما أنتم تبع.

وهنا وضع سيدنا أبو بكر رضى الله عنه مبدأين هامين:

١- أن تقرير الأمور الهامة فيما يتعلق بالأجور، كزيادتها أو إنقاصها لايخضع للعامة وإنما يتم الرجوع فيه لأهل الاختصاص.

٢- أن للموظف ما يكفى حاجته من الأجر مقابل تفرغه للأعمال العامة وإلا فالإسلام لايمنعه من ممارسة عمل إضافى يستعين به على نفقات معيشته ووفقاً للمنهج الإسلامى الذى نراه فإن هناك عدة قواعد يمكن الاسترشاد بها في موضوع الأجر ومنها:

١- يشترط أن يكون الأجر معلوماً بالمشاهدة أو الوصف الدافع للجهالة يقول الرسول ﷺ: (من استأجر أجيراً فليسم له أجرته).

٢-يجوز تعجيل الأجر ويجوز تأجيله، فإذا اتفق العامل مع صاحب العمل على تأجيل الأجر أو تعجيله يراعى اتفاقهما عند الحكم بينهما.

قال عليه الصلاة والسلام: «المسلمون عند شروطهم»[١٩٨].

وأما إذا لم يشترطا شيئاً في تعجيل الأجر أو تأجيله ينظر فيما إذا كانت الأجرة مؤقته بوقت معين، كالشهرية أو السنوية، فيلزم ايفاؤها عند انقطاع ذلك الوقت، فإذا كانت مشاهرة تؤدى في ختام الشهر وإذا كانت سنوية تؤدى في ختام السنة.

أما إذا كانت الأجرة على عمل، مثل خياطة ثوب أو إصلاح شيء...الخ،

فإنه يلزم ايفاؤها عند الأنتهاء من العمل، التزاماً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[١٩٩].

---

(١٩٨) جزء من حديث رواه الترمذى.

(١٩٩) ابن ماجة - عن عمر.

٣- الأجر على قدر العمل مع مراعاة الأعباء المعيشية للموظف. وسبق توضيح ذلك.

٤- للعامل إلى جانب الأجر حق في معاش الشيخوخة يدفع له عند تقاعده أو لورثته بعد وفاته وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سباقاً في هذا الأمر، فقد جعل لكل عامل معاشاً يصرف له عندما تقعده الشيخوخة، وبعد مماته يدفع لمستحقيه من خزانة بيت مال المسلمين، وإذا مات شخص أو قتل أثناء دفاعه عن الدين والوطن فإن كل ما يستحق من عطاء هو دين لورثته في بيت المال.

٥- الأجر المناسب يحمى العامل من الانحراف، ويتضح ذلك من كتاب الإمام على رضى الله عنه إلى الأشتر النخعى حين يقول له:

(.... ثم أسبغ عليهم الأرزاق "الأجور" فإن ذلك قوة لهم على استطلاع أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم أن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك) [١]

الحوافز والجزاءات

تتعلق الحوافز بالقوى المادية والمعنوية التى تؤثر في الفرد فتدفعه إلى العمل بأكثر مالديه من طاقة، وهى قد تكون في شكل مادى، وقد تكون في أشكال معنوية، والمنهج الإسلامى حينما يقرر الحوافز إنما يحاول دفع المجد إلى مزيد من العمل والإنتاج ودفع الأخرين إلى تقليد هذا المجد حتى ينالوا مثله التكريم.

يقول فضيلة الشيخ الشعراوى في خواطره حول قوله تعالى:

﴿ وأما من أمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ﴾ [٢٠٠].

([٢٠٠]) سورة الكهف : أية ٨٨.

أنه عندما يجازيه بالحسنى فمعنى ذلك أنه سيعطيه مكافأت، لكن المكافأة لايعرفها كل إنسان لذلك يضيف ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾[٢٠١]. إن تكريم المؤمن يعطى المثل لمن في طبيعته حب الثناء فيتساءل: ولماذا تم تكريم هذا الإنسان؟ ويعرف الإجابة من سلوك الذى تم تكريمه فيقلده حتى ينال التكريم)[٢٠٢].

وقاعدة الإسلام في منح الحوافز والمكافأت، أن تعطى لمن يستحقها متجرده من الهوى والعلاقات الشخصية. ويقرر فضيلة الشيخ الشعراوى ذلك فيقول:

(... ولذلك نجد العمل حيث يوجد التكريم والعقوبة، وتوجد المكافأة الشخصية شرط أن توضع في موضعها، فلا يجب أن تجعل مكافأة تشجيعية لأن الذين يعملون تحت أمرك نجحوا في إرضاء هواك، ولكن لتضع المكافأة التشجيعية جزاء لمن نجح في تنفيذ المنهج الحق، وحين يعلم الناس أنه لا يجازى بالخير ولا يكرم بالقول إلا من فعل فعلاً حقيقياً فالكل يندفع إلى الفعل الحقيقى، ولكن عندما يجد الناس أن أحداً لاينال المكافأة التشجيعية إلا بالتزلف والنفاق وبالأشياء غير المشروعة فسيفعلون جميعاً الأشياء غير المشروعة، وعندما يفعلون ذلك تهبط الكوارث على المجتمع)[٢٠٣].

ومن الرائع في المنهج الإسلامى أنه يربط بين حوافز العمل والحافز الأسمى الذى يسعى كل مسلم إلى نيله وهو رضاء الله ومغفرته ودخول الجنة.

([٢٠١]) سورة الكهف : أية ٨٨.

([٢٠٢]) جريدة اللواء الإسلامى العدد ١٧٣ - ٢٦ شعبان سنة ١٤٠٥ هـ

([٢٠٣]) المرجع السابق.

يقول تعالى:

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [٢٠٤].

ويقول الرسول عليه السلام:

«من بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له» [٢٠٥]

ووفقاً للمفهوم الإسلامى فإن الناس يختلفون فى دوافع حركتهم فى الحياة فأصحاب الأنفس ذات العزيمة القوية يجعلون واجباتهم فى أعلى درجات الكمال الممكن بينما يتجه العامة إلى ما هو أقل من ذلك بمعنى أنهم يحددون الواجب فى نطاق الحد الأدنى الممكن، وهؤلاء يحتاجون إلى حوافز خارجية تدفعهم إلى أداء الواجب بدرجة عالية.

ومن هنا يمكن أن نقول أن منهج الإسلام فى الحوافز على العمل يتضمن قيمتين متكاملتين:

.. أن هناك حداً أدنى ملزم من العمل يقوم به الفرد مقابل ما يتقاضاه من أجر حسب المعايير الموضوعة.

.. إن دفع الإنسان إلى الوصول إلى أعلى درجات الكمال المطلوب يتطلب نوعاً من الحفز بالاغراء بالثواب، وبقدر ما يضيف الإنسان إلى الحد الأدنى المطلوب يستحق الحفز والتقدير.

---

(٢٠٤) سورة النحل الآية ٩٧.

(٢٠٥) متفق عليه.

الجزاءات

الإسلام كدين سماوى يدرك طبيعة النفس البشرية ويتفهم دوافعها يقرر الحوافز والمكافأت التى تشجعها على البذل والعطاء، لكنه فى نفس الوقت يضع الجزاء الرادع عليها عند خروجها عن المنهج القويم .. ضماناً لحسن سير العمل والتزاماً بسياسته.

والجزاء فى الإسلام يتخذ ثلاثة أشكال[٢٠٦]

جزاء أخلاقى: نابع من النفس الإنسانية ومن الضمير الإنسانى وهو الذى يدفع الإنسان إلى الندم على مخالفته لأوامر الله أو لما ارتضاه المجتمع من قيم وقوانين لاتخالف شرع الله.. والندم أثر طبيعى للصراع بين عوامل الخير والشر فى النفس الإنسانية ويؤتى ثماره حين تعقبه توبة نصوحا ومحاولات جادة للإصلاح.

وتتفاوت درجات الندم على الخطأ بين الناس بمقياس الإيمان والقيم لديهم.

يقول الرسول عليه السلام:

«المؤمن يرى ذنبه فوقه كالجبل يخاف أن يقع عليه، والكافر يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره»[٢٠٧] والتوبة كما أسلفنا هى ثمرة الندم المرجوة وهى وهى شرع فرضه الله تعالى:

يقول تعالى:

﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾[٢٠٨].

---

(٢٠٦) راجع د./ محمد ممدوح على العربى (الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامى واللبير إلى والماركسى) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢ ص ٢٢٥.

(٢٠٧) نقلاً عن المرجع السابق ص ٢٢٥.

(٢٠٨) سورة النور الآية ٣١.

ويقول سبحانه:

﴿ يأيها الذين أمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾[٢٠٩].

ويقول جل شأنه:

﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾[٢١٠]

والتوبة النصوح تتطلب أمرين:

١- الإصرار على عدم الخطأمرة أخرى.

٢- التخفيف من الأثار التى ترتبت على الخطأ ومحاولة محوها إن أمكن .. وهذا يتم بأداء أفعالاً طيبة تعوض الأفراد أو المجتمع عن الأضرار التى وقعت.

يقول تعالى:

﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾[٢١١].

ويقول عليه السلام:

«وأتبع السيئة الحسنة تمحوها»[٢١٢].

وتلعب الصدقات والتبرع بالأموال دوراً هاماً فى التخفيف من الأثار التى تترتب على أخطاء العمل كما أنها تطهر النفس الإنسانية من الذنوب لهذا أوصى الله سبحانه وتعالى نبيه جل شأنه.

---

(٢٠٩) سورة التحريم الآية ٨.

(٢١٠) سورة آل عمران الآية ١٣٥.

(٢١١) سورة هود الآية ١١٤.

(٢١٢) مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود - عن أبى ذر.

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾[٢١٣].

جزاء قانونى

مستمد من الحدود التى أقامها الله على الخارجين عن الشرع ونظام المجتمع وهى تشمل :

-الحدود -التعازير

الحدود: جاءت فى القرأن صريحة وواضحة وتكفلت بعدد من الجرائم مثل الحرابة والسرقة والخمر والزنا والقذف.. الخ وهذه لامجال فيها للاجتهاد.

التعازير: جزاءات تركت لتقدير أولى الامر حسب خطورة الجريمة التى تقع ومدى ما يترتب عليها من أضرار، وقد تركت للاجتهاد وبحسب الجرم واختلاف أحواله، وأحوال فاعله.

وهنا يجب القول أن قوانين العمل يجب أن تلتزم بالحدودالتى وضعها الله سبحانه وتعالى إذا أريد لها أن تؤدى دورها بنجاح فى المجتمعات الإنسانية الإسلامية فالقوانين التى تعاقب الموظف حين يسرق أو يرتشى من عمله بعقوبات غير تلك المنصوص عليها فى القرآن والسنة إنما تؤدى إلى إفساد العمل كما هو حادث الآن، حيث أن جرائم السرقة والرشوة تكاد تصبح قاعدة في معظم المنظمات نظراً لأن العقوبات عليهاغير رادعة.. وتضيع في دهاليز المحاكم والتفسيرات المتباينة للقوانين الوضعية.

([٢١٣]) سورة التوبة الآية ١٠٣.

جزاء الهى: وهو نوعان

أ- دنيوى: يتمثل في تلك العقوبات التى يصبها الله سبحانه وتعالى على عباده حين يتمادون في الخطأ ويصرون على المعصية ليفرض عليهم أن يثوبوا إلى رشدهم أو ليكونوا عبرة لغيرهم.

يقول تعالى:

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾[٢١٤].

ولقد قدم لنا القرآن الكريم مئات الأمثلة من هذه العقوبات كما حدث مع أقوام عاد وثمود ونوح وصالح وقوم سبأ، وكما حدث مع قارون وغيرهم كثير.

ب- أخروى: الجزاءات الدنيوية لمجرد الردع والتخويف، أما الجزاء الحقيقى فهو الجزاء الاخروى.

يقول تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ والجزاء الأخروى هو التجسيد لمبدأ العدالة الإلهية الذى يفرق بين الصالح والفاسد وبين من يعمل ومن لايعمل.

يقول تعالى:

﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين أمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾[٢١٥].

---

(٢١٤) سورة الإسراء الآية ١٦.

(٢١٥) سورة الجاثية الآية ٢١.

ويقول سبحانه:

﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾[٢١٦].

ووفقاً لمبدأ العدل الألهي تكون الجنة للمؤمنين يتنعمون فيها ويخلدون وتكون النار للمفسدين والفجار يعذبون فيها ويخلدون.

يقول تعالى:

﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين﴾[٢١٧].

والإسلام حين يقرر الجزاء إنما يضع القواعد العادلة التي تتضمن لكل ذي حق حقه، ومن هذه القواعد:

١- لا عقاب إلا بعد وضوح المسئولية وتحقيق الأمر..' ويتضح هذا المبدأ في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد الذي تغيب عن مجلس سليمان دون إذن، فقرر سليمان معاقبته لكنه أجل العقوبة حتى يتم التحقيق مع الهدهد ليقدم مبررات غيابه.

يقول القرآن الكريم في ذلك:

﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾[٢١٨].

---

(٢١٦) سورة ص الآية ٢٨.

(٢١٧) سورة الإنفطار الآيات من ١٣- ١٥.

(٢١٨) سورة النمل الآيتان ٢٠، ٢١.

وحين حضر الهدهد وقدم مبررات غيابه أعطاه سليمان فرصة لإثبات أقواله.

يقول القرآن الكريم:

﴿ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴾[٢١٩].

٣- عدم توقيع الجزاء على الرئيس أمام المرؤسين:

ويتضح هذا المبدأ في قصة موسى عليه السلام مع أخيه هارون فقد استنكر هارون عليه السلام عقاب أخيه له أمام المرؤسين وأخبره أن ذلك سيؤثر على قدرته وهيبته في تولى أمور القيادة وخاصة في حالة غياب موسى عليه السلام.

يقول القرآن الكريم:

﴿ وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه، قال ابن أم إن القوم إستضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ﴾[٢٢٠].

٣- الجزاء ملازم للخطأ ومن ثم يجب عدم تأخيره، إذ أن التأخير في الجزاء يفقده فاعليته.. وهذا ما تعانى منه كثير من الإدارات الحديثة، حيث أن التحقيقات تأخذ وقتاً طويلاً يترتب عليه تأخير الجزاء مما يفقده فاعليته.

وقد وقع موسى الجزاء على السامرى في الوقت المناسب فطرده من جماعته وأمر بنى اسرائيل بمقاطعته، ثم أحرق العجل الذى فتن به قومه،

---

(٢١٩) سورة النمل الآية ٢٧.

(٢٢٠) سورة الأعراف الآية ١٥٠.

يقول تعالى:

﴿ قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ﴾ (٢٢١).

٤- إعلام المخطيء بالجزاء الذي وقع عليه:

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم في ذلك أمثلة عديدة نذكر منها:

قوله تعالى لإبليس حين رفض السجود لأدم،

﴿ قال يا أبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ (٢٢٢).

- وقوله تعالى لأدم حين عصى وأكل من الشجرة المحرمة:

﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ (٢٢٣).

وقول موسى للسامري:

---

(٢٢١) سورة طه الآية ٩٧.

(٢٢٢) سورة ص الآيات من ٧٥- ٧٧.

(٢٢٣) سورة البقرة الآية ٣٦.

﴿ قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ﴾[٢٢٤].

([٢٢٤]) سورة طه الآية ٩٧.

الفصل الخامس

القيم الإسلامية والتنمية الثقافية

- مفهوم التنمية الثقافية
- الجانب المعنوى في التنمية الثقافية
- التخطيط للتنمية الثقافية
  - الأهداف
  - الإمكانيات والوضع القائم
  - أولويات العمل
- القيم الإسلامية التى يجب مراعاتها عند التخطيط للتنمية الثقافية
- الغزو الثقافى والقيم الإسلامية

التنمية الثقافية والقيم الإسلامية

التنمية في معناها الإنسانى العميق لاتنجح إلا من خلال ارتباطها بالثقافة إذ أن الثقافة جزء من مكونات الإنسان بوصفه كياناً متكاملاً متوازنا يجمع بين الجوانب المادية والمعنوية وتمثل المشاعر الروحية والتقاليد الاجتماعية والرؤي الفكرية جزءاً هاماً في تكوينه.

وهناك علاقة متبادلة بين الثقافة والتنمية فمسيرة الثقافة هى جزء من مسيرة المجتمع نحو التقدم في المجالات المختلفة.. كما أن نوعية الثقافة هى التى تحدد أهداف التنمية واتجاهها وإيقاعها.

وإذا كنا قد اتفقنا من قبل على أن الجانب المعنوى في التنمية أهم من الجانب المادى وأن الإنسان هو أهم عناصر التنمية.. فإن هذا الإنسان لن يكون قابلاً لعمليات التنمية المثمرة مالم يقم على قاعدة من الثقافة الواعية.

إن حاجة المجتمع إلى تنمية القوى البشرية ثقافياً تتمثل في أركان ثلاثة[٢٢٥] "المبدع، والجمهور، والمنشط الثقافى"

المبدع: سواء كان مفكراً أم عالماً أم أديباً يستعمل طاقاته الإبداعية جميعها إذا حقق له المجتمع المناخ الذى تسود فيه حرية التعبير وأنزله المنزلة الاعتبارية المكافئة له بوصفه أحد عوامل التنمية الشاملة.

الجمهور: القوى المستفيدة من العطاء الثقافى.. هذا العطاء إذا لم يصادف من يستفيد منه يسقط ويموت كالثمرة الناضجة .. إن إقامة الجسور الحية المثمرة بين المنتجين للثقافة (المبدعين) وبين المستفيدين منها

---

(٢٢٥) لمزيد من التفاصيل انظر الخطة الشاملة للثقافة العربية - المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة - المجلد الأول- الكويت سنة ١٩٨٦.

(الجمهور) هو أساس نجاح عملية التنمية الثقافية وتحويل هذا الجمهور إلى جمهور واع مشارك، نقاد، ينتخب ما يروقه من مقومات التنمية الثقافية.

المنشط الثقافي: (الادارى) وله دورة الهام في عملية إيصال الإنتاج الثقافى إلى الجمهور وتقريبه إلى فكره ووجدانه ونقل انطباعات هذا الجمهور إلى المنتجين الثقافيين، فهو واسطة الحوار وحلقة الوصل بين الطرفين.. ومن ثم فإن اختياره وتدريبه وإعداده بصورة جيده يضمن درجة عالية من التنمية الثقافية.

التخطيط الثقافى:

الخطة الثقافية تقوم على معرفة واضحة بعوامل ثلاث:

- وضوح الأهداف العامة للخطة
- التقويم الصحيح للوضع الثقافي القائم
- تنظيم أولويات العمل في مشاريع متوالية ومراحل زمنية ووسائل محددة.

أولاً: الأهداف

الخطة الشاملة للتنمية في المجتمعات الإسلامية يجب أن تسعى إلى تحقيق عدة أهداف أولها

١- تثبيت العقيده الدينية في نفوس الناس وتأكيد دورها في خدمة قضايا التنمية.

إن إيمان المسلم بثراء عقيدته وقدرتها على مواكبة تطورات العصر ينمى في داخله الثقة ويفجر طاقات الإبداع.

إن الإسلام هو دين الرقى والتقدم والحضارة، وهو لايرضى لابنائه إلا بقيادة ركب الحضارة والتقدم- وفي هذا يقول الشاعر محمد اقبال.

"إن المسلم لم يخلق ليندفع في التيار ويساير الركب حيث سار بل خلق لتوجيه ركب الحضارة والتقدم والمدنية".

٢- تطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في العالم الإسلامى وتوجيهها إلى خدمة قضايا التنمية.. فالثقافة لها قوة تأثير ضخمة في كافة هذه المجالات.

٣- الحفاظ على التراث الإسلامى بوصفه كنزاً واسعاً من الخبرات والقيم والعطاء الحضارى المادى والمعنوى كما أنه الأساس الذى تقوم عليه الهوية الثقافية للأمة.

٤- الحفاظ على القيم الإسلامية الأصيلة التى تدعوا إلى التطور والتقدم والوقوف في وجه القيم الدخيلة التى تعرقل روح التنمية.

٥- تفجير الطاقات الإبداعية الكامنه في النفوس المسلمة، ودفعها في الاتجاه الذى يواكب التطور والتقدم.

٦- محاولة تحقيق الوحدة الفكرية بين الشعوب الإسلامية والتقليل من وحدة الصراعات والخلافات الفكرية والمذهبية التى غرستها القوى الإستعمارية في جنبات الجسد الإسلامى.

ب- الوضع الثقافى القائم

الأمة الإسلامية غنية بتراثها العظيم، كما أنها غنية بالكفاءات البشرية المتميزة في كافة مجالات العلوم والفنون والثقافة.. لكنها رغم ذلك تعانى من التخلف الثقافى نتيجة لبعض العوامل الدخيلة ومنها:

عدم وجود حد أدنى من الوحدة الفكرية بين أبناء المجتمع الإسلامى رغم الطاقة الكامنة في الإسلام والتى توحد المسلمين في صلاتهم وصيامهم وعباداتهم وسلوكهم. إلا أن عوامل التفرقة التى زرعتها القوى الإستعمارية تقضى على إيجابيات هذه الطاقة الروحية.

عدم وجود قيادات قادرة على الإستفادة من الطاقات الكامنة في المجتمعات الإسلامية والتنسيق بينها بما يحقق رخاء هذه المجتمعات.

ارتباط بعض البلاد الإسلامية بقوى وأحلاف غير إسلامية تحاول إبعادها عن هويتها وتغريبها عن عالمها الإسلامى.

غزت الثقافة الإسلامية قيم دخيلة وخصائص زائفة نتيجة لعصور الإنحطاط والإستعمار.. ومع مرور الزمن أصبحت هذه القيم جزءاً من الكيان الثقافى واختلطت بالقيم الثقافية الإسلامية فحدث خلط وتشويه لكثير من حقائق وقيم الإسلام النبيلة.

جـ- أولويات العمل:

عند التخطيط للتنمية الثقافية يجب التركيز على بعض العوامل والبدء بها ضمانا لنجاح مسيرة التنمية ومنها:

١- العناية باللغة العربية بصفتها لغة القرآن الكريم ولغة الوحى، وهى السبيل لوحدة الآمة الإسلامية.

٢- تنمية القيم الروحية واستلهامها لربط التنمية بجذورها الأصيلة في التراث الإسلامى

٣- استيعاب العصر.. والإيمان بأن العلم هو الطريق إلى التقدم وأن الإسلام يدعو إلى العلم ويعتبره أساس النهضة.. وفي هذا المجال يجب العمل من أجل سد منابع الأمية في المجتمعات الإسلامية.

٤- ضمان الحرية الثقافية وتوطيد دعائمها.. إيمانا بأن القيود التى توضع على حرية الفكر والتعبير تقتل روح الإبداع والابتكار، لكن هذه الحرية يجب أن تكون حرية ملتزمة لها ضوابطها التى لاتضر بالمجتمع.

٥- التصدى لمحاولات الغزو الثقافى التى تحاول تدمير الثقافة الإسلامية وتشويه التراث الإسلامى وهنا يجب أن نلحظ أن الإسلام قد ركز على بعض القيم الإسلامية التى يجب مراعاتها عند التخطيط للتنمية الثقافية إذ أن أية خطة تخرج عن نطاق هذه القيم لايمكن قبولها في المجتمعات الإسلامية ومن هذه القيم:

١- الكرامة الإنسانية

٢- الحرية والخروج من دوائر العبودية لغير الله

٣- العدل ورفض الظلم.

٤- المساواة

١- تكريم الإسلام للإنسان:

من أولى القيم التى حرص الإسلام على غرسها في نفوس البشر أن الإنسان كائن مميز عن غيره من سائر المخلوقات مميز بالعقل، ومميز بالاستخلاف في الأرض، ومميز بالأمانة التى حملها وهى أمانة الأختيار.. ومميز بأشياء أخرى كثيرة.

يقول القرآن الكريم:

﴿ ولقد كرمنا بنى أدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾[٢٢٦].

تكريم وتفضيل من الله على سائر المخلوقات لبنى البشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وألسنتهم لافرق في ذلك بين أبيض وأسود ولاعربى أو عجمى.. تفضيل منبعه الأدمية والإسلامية لينس إلا.. تكريم للإنسان باختياره خليفة لله في الأرض.

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾[٢٢٧].

---

(٢٢٦) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٢٢٧) سورة البقرة الآية ٣٠.

وتكريم للإنسان باختصاصه بأمانة الاختيار:

يقول تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾[٢٢٨].

- أرتضت كل الخلائق التيسير الألهى مبدأ وأشفقت على نفسها من حمل أمانة الاختيار.

﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[٢٢٩].

- أما الإنسان فقد حمل هذه الأمانة رغم قسوتها وأرتضى بأن يعيش التجربة فيصيب ويخطيء ويهتدى ويضل، ويطيع ويعصى.. ويعمل الفعل.. وهو في هذا قد جلب على نفسه المشقة والتعب لكنه استحق التكريم لأنه المخلوق الوحيد الذى حمل الأمانة، ولقد كافأه الله تعالى على هذا بأن سخر له كل المخلوقات الأخرى وجعلها تعمل بإمرته ولخدمته ويفصل القرآن الكريم هذا المعنى في سورة النحل (الآيات من ٥ إلى ١٨ تفصيلاً دقيقاً وشاملاً).

يقول تعالى:

﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير

---

(٢٢٨) سورة الأحزاب الآية ٧٢.

(٢٢٩) سورة النحل الآيتان ٤٩، ٥٠.

لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ (٢٣٠).

وحينما يؤكد الإسلام على قضية تكريم الإنسان فإنه يهدف إلى الإشارة إلى أن أول الحقوق السياسية للإنسان الحفاظ على كرامته الإنسانية ومعاملته بما يليق بمكانته كخليفة لله في الأرض.

٢- الحرية.. والخروج من دوائر العبودية لغير الله:

الإنسان كائن حر، ولد حراً لكي يمارس وجوده ككائن خلاق مبدع وحين رفض الإنسان أن يكون جزءا من الطبيعة كباقي الكائنات

---

(٢٣٠) سورة النحل الآيات من ٥ - ١٨.

واستقل عنها واختار لنفسه الاستقلالية بأعمال العقل والاختيار.. فإنه تميز عن كل الكائنات بل أصبح سيداً لها حين سخرها الله لخدمته وهو في هذا خرج من كل دوائر العبودية لغير الله تعالى:

﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[٢٣١].

ومما هو جدير بالذكر أن العبودية لله تعالى هي أسمى درجات الحرية- لأن العبودية لله تحمي الإنسان من كافة أشكال العبودية الأخرى (عبودية النفس وعبودية الحكام وعبودية الرؤساء وعبودية الآخرين).

والإنسان حين يؤمن بعبوديته لله يطمئن إلى حياته وإلى رزقه وإلى مستقبله فينطلق في عمله دون خوف من جاه أو سلطان، أو قوى متسلطة تذله وتوقف حركته.

والحرية الحقيقية تعنى حرية الرأى بأن يكون الإنسان قادراً على التعبير عن نفسه وعن حاجته ومشكلاته وأماله وتطلعاته:

"أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"[٢٣٢].

وحرية التفكير والتأمل في خلق الله وتدبير آياته:

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشأ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾[٢٣٣].

---

(٢٣١) سورة الجاثية الآيتان ١٢، ١٣.

(٢٣٢) رواه أبو داود والترمذى.

(٢٣٣) سورة العنكبوت آية ٢٠.

وحرية الحركة والسير في الأرض والإستمتاع بخيراتها:

﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾[٢٣٤].

وحرية التدين:

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[٢٣٥].

﴿لكم دينكم ولي دين﴾[٢٣٦].

وإنه لما هو جدير بالذكر في هذا الشأن أن عجوزا نصرانية قابلت عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحاجة لها عنده، وبعد أن أداها دعاها إلى الإسلام فامتنعت فخشى عمر أن يكون كلامه إكراه لها فطلب المغفرة من الله قائلاً.. اللهم إنى لم أكرهها.. اللهم إنى لم أكرهها.

وحرية الفعل ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾[٢٣٧].

وحرية ممارسة الحقوق السياسية ونقد الحكام:

ولقد فتح الخلفاء الراشدون هذا الباب على مصراعيه وكانوا يقبلون النقد من كل مخالفيهم ويستمعون إليهم.

---

(٢٣٤) سورة النساء الآية ١٠٠.

(٢٣٥) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٢٣٦) سورة الكافرون الآية ٦.

(٢٣٧) سورة الإسراء الآية ٨٤.

لقد وقف عمر بن الخطاب رضى الله عنه يدعو الناس لعدم المغالاة في المهور ووضع حداً أعلى للمهور، فوقفت أمرأة تعارضه وتقول ليس هذا لك يا أمير المؤمنين لقد قال تعالى:

﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ﴾[٢٣٨].

فما كان من عمر إلا تقدير الرأى الاخر وقبوله بصدر رحب قائلاً "كل الناس يعلم القرآن إلا أنت ياعمر"

ولقد كان رضى الله عنه يقبل الاتهام أحيانا ويناقشه حتى يظهر الله الحق، من ذلك أنه جاءته غنائم فيها ثياب ومن بينها ثوب تميز بجودته فأعطاه أحد الشبان فظن سعد بن أبى وقاص ذلك محاباة فحلف ليضربن رأس عمر بثوبه الذى وزع عليه وقال لأمير المؤمنين: (تكسونى البرد وتكسو ابن أخى برداً أفضل منه) فقال عمر: (يا أبا أسحق إنى كرهت أن أعطيه أحدكم فيغضب الأخرون فاعطيته فتى نشأ نشأة حسنة لايتوهم فيه أحد أنى أفضله عليكم) فقال سعد: (لقد حلفت أن أضرب بالبرد الذى أعطيتنى رأسك) فمال عمر برأسه وقال: (رأسى عندك يا أباأسحق وليرفق الشيخ بالشيخ) فضرب رأسه بالبرد.

ولقد وصل حد النقد للحكام إلى أن يقف أحد الرعية في وجه أمير المؤمنين ليقول: (له أتق الله يا عمر .. فلما اعترض أخر على هذه المقولة قال عمر: (دعه فليقلها، لاخير فيكم إن لم تقولوها، ولاخير فينا إذ لم نقبلها منكم).

---

(٢٣٨) سورة النساء. آية ٢٠ .

والحرية تعنى إطلاق ملكات الإنسان وتحريره من كل صور الاستقلال.. والحرية حق أصيل للإنسان فهى ليست منة من أحد، وليست هبه من حاكم أو غيره.. ولعل في المقولة المأثورة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب تأكيداً لهذا المعنى حيث يقول مخاطباً (عمرو بن العاص) حينما اعتدى ابنه على واحد من الرعية في مصر:

(متى أستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

٣- العدل ورفض الظلم

قيمة ثابته من قيم الحياة التى حرض الإسلام على تأكيدها بكل وسائل القول والفعل:

- (بصيغة الأمر القاطع فى المعاملات العامة): ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[٢٣٩].

- (وبصيغة الأمر القاطع في الحكم): ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[٢٤٠].

- وبصيغة النهى عن غير العدل خوفاً من جاه أو سلطان ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[٢٤١].

---

(٢٣٩) سورة النحل الآية ٩٠.

(٢٤٠) سورة النساء الآية ٥٨.

(٢٤١) سورة المائدة الآية ٨.

- وبصيغة النصح: «يابنى أدم إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[٢٤٢].

- وبصيغة الاستنكار لهؤلاء الذين ارتضوا لأنفسهم الظلم: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيما كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[٢٤٣].

- وبصيغة التخويف من عواقب الظلم: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾[٢٤٤].

﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾[٢٤٥].

﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾[٢٤٦].

﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بها سرادقها﴾[٢٤٧].

ودعوة الإسلام بطلب العدل ورفض الظلم تدفع المسلمين إلى القتال من أجل المظلومين.

---

(٢٤٢) حديث قدسى.

(٢٤٣) سورة النساء الآية ٩٧.

(٢٤٤) سورة الفرقان الآية ١٩.

(٢٤٥) سورة يونس الآية ١٣.

(٢٤٦) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

(٢٤٧) سورة الكهف الآية ٢٩.

﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾[٢٤٨].

والله سبحانه وتعالى يعتبر العداله بين الناس من أقرب القربات إلى الله.. وهى طريق الزلفى إليه يقول سبحانه:

﴿ يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنأن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾[٢٤٩].

ومن الأثار الإسلامية:

عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أن مسلما ويهوديا اختصما إلى عمر رضى الله عنه فرأى الحق لليهودى فقضى له عمر به، فقال له اليهودى والله لقد قضيت بالحق، فقال وما يدريك؟ قال اليهودى والله إنما نجد في التوراة- ليس قاضياً يقضى بالحق إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه للحق ما دام مع الحق فإذا ترك الحق عرجا وتركاه[٢٥٠].

٤- المساواة

مبدأ منزل من الله سبحانه وتعالى ليؤكد أن الطبيعة الإنسانية واحدة ومن ثم يجب أن تكون المعاملة الإنسانية واحدة.. ﴿ يا أيها الناس اتقوا

---

(٢٤٨) سورة النساء الآية ٧٥.

(٢٤٩) سورة المائدة الآية ٨.

(٢٥٠) رواه مالك الترغيب جـ ٣ ص٥٥.

ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾[٢٥١].

وجعل القرآن الكريم اختلاف الناس للتعارف لا للتباغض والتنازع ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[٢٥٢].

ويؤكد الرسول عليه السلام حقيقة المساواة بين البشر أجمعين فيقول «الناس سواسية كأسنان المشط لافرق بين عربي وأعجمي أو أبيض وأسود إلا بالتقوى»[٢٥٣].

ولقد حارب الإسلام التفرقة العنصرية والعصبية الجاهلية فقال عليه السلام. «ليس منا من دعا إلى عصبية»[٢٥٤].

وقال مخاطباً عشيرته بني هاشم: «يا معشر بني هاشم لايجيئني الناس بالأعمال وتجيئون بالأنساب»[٢٥٥].

وحين بلغ النبي أن أحد أصحابه عيّر آخر بأبيه قال قولته المشهورة "إنك أمرؤ فيك جاهلية" ويخاطب الرسول عليه السلام الإنسانية كلها

---

(٢٥١) سورة النساء الآية ١

(٢٥٢) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢٥٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

(٢٥٤) سنن أبي داود عن جبير بن مطعم.

(٢٥٥) المغني عن حمل الأسفار.

محذراً من مغبة التعصب فيقول - كلكم لآدم وآدم من تراب ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان"[٢٥٦].

هذه القيم الاربعة (الكرامة -الحرية -العدل -المساواة) يجب أن تكون أساس خطة التنمية الثقافية وأساس تكوين المؤسسات الثقافية القائمة على التنمية.. وأساس العمل في كافة مراحل التنمية الثقافية.

الغزو الثقافي والقيم الإسلامية

إننا مطالبون بحكم انتمائنا لعالم اليوم إلى التفاعل مع الحضارات والثقافات المتعدده، والتمازج معها أو الأخذ منها وهذا الهدف وإن كانت له ضرورته وأهميته فله أيضاً مخاطره.

فالثقافات المتقدمه تحاول فرض هويتها وقيمها الذاتية على الثقافات الأخرى وهى تستخدم في ذلك كافة وسائل التقنية الحديثة.

كما أن هذه الثقافة تحاول فرض التبعية الثقافية وجعلها من وسائل التبعية السياسية.

وهى أيضاً (الثقافة المتقدمه) تحاول الغاء ما عداها من أنماط حضارية لتكون لها السيادة.

والثقافة الإسلامية في مرحلة الضعف الحالية -لاتستطيع الاستسلام المطلق للغزو الثقافى الخارجى والذوبان فيه لأن هذا يعنى ضياع الهوية الإسلامية كما أنها لاتستطيع الإنغلاق على الذات بحكم ثورة الاتصال أصلا وبحكم الحاجة إلى الاستفادة من الرؤى الثقافية العالمية ولذلك فإن إدارة التنمية مسئولة عن إيجاد حل لهذه المعادلة الصعبة وذلك يتم من خلال:

---

(٢٥٦) اورده بن كثير في تفسيره (جـ ٤ ص ٢١٧) عن البزاز في مسنده عن حذيفة.

١- إحياء الثقافة الإسلامية وتعميقها في نفوس أبناء المجتمع الإسلامى، وتجديد قدراتها الذاتية وإبراز خصوصيتها، وتعميق قيمها النبيلة.. بما يضمن تقوية البنية الأساسية للثقافة الإسلامية

٢- تحويل العلاقة مع الثقافات الأخرى من الإستيلاب إلى الحوار ومن الاستهلاك إلى المشاركة وهذا لن يتأتى إلا بخلق نوع من تكافؤ الفرص بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى وذلك بجعلها ثقافة عطاء وليست مجرد ثقافة أخذه.

٣- الإيمان بأن طريق الحضارة الغربية ليس هو الطريق الوحيد للتقدم فهذه الحضارة قد أثبتت التجارب أنها حضارة مادية قاتله لها أثارها المدمرة على العالم.. وأن الحضارة الإسلامية هى البديل الأمثل لأنها تجمع الجوانب المادية والروحية وهى حضارة البناء لا الهدم.. والسلام لا الحرب، إنها الحضارة الإنسانية.

الفصل السادس

ملامح استراتيجية للتنمية الشاملة في ظل القيم الإسلامية

.. الأهداف الإستراتيجية للتنمية الشاملة

- في المجال الاقتصادى
- في المجال السياسى
- في المجال الاجتماعى
- في المجال الثقافى
- في المجال الإدارى

.. مراحل الخطة الشاملة للتنمية في المجتمعات الإسلامية

الأهداف الإستراتيجية للتنمية الشاملة في ظل القيم الإسلامية

الإستراتيجية في أبسط تعريفاتها هى فن استخدام الموارد المتاحة بأفضل طريقة لتحقيق الأهداف المرغوبة.

والإستراتيجية هى التى تعبرعن فلسفة الدولة وتعكس أهدافها، ولابد للأمة الإسلامية من إستراتيجية تقضى على أسباب التخلف وتوضح كيفية تحقيق التنمية.. وهذه الإستراتيجية تضع في أعتبارها الوصول خلال فترة زمنية محدده إلى الأهداف الآتية:

في المجال الاقتصادى

أولاً: الاستقلالية

الأمة الإسلامية لن تستطيع إثبات وجودها في عالم اليوم إلا إذا تحررت من ربقة التبعية للغرب والشرق ونجحت في تحقيق الاستقلال الاقتصادى.. وهذا الاستقلال يتطلب أن يكون المجتمع الإسلامى متوازنا في كيانه الاقتصادى بقدر ماتتيح له موارده وإمكانياته فتتوزع موارده بين القوى الاستثمارية جميعها من صناعة وزراعة وتجارة على النحو الذى يمكنه من سد حاجاته الأساسية.. ونظراً لأهمية ذلك قرر علماء الإسلام "أن كل مالا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا فتعلمه ووجوده من فروض الكفاية، وإذ لم يتحقق في الآمة (أثمت الأمة كلها) وأساس هذه الفرضية هو العمل على تحقيق المبدأ الإسلامى الذى يوجبه الإسلام على أهله، وهومبدأ استقلال الجماعة الإسلامية فيما تحتاج إليه من الضروريات، فلا تمد يدها إلى غيرها من الأمم مما يفتح المجال للتدخل في شئونها.

إن الحفاظ على هذا المبدأ يحفظ للآمة كيانها وعزتها ونظمها وقيمها وخيراتها.

وسبيلها في تحقيق هذه الاستقلالية

- الأخذ بسياسة التوازن السكانى بين البلاد التى تفتقر إلى السكان وتلك التى تضخمت بالسكان.. فهناك بلاد إسلامية واسعة وتمتلك ثروات طبيعية ضخمة ولاتنقصها غير القوة البشرية.. ولقد نجحت بعض البلاد العربية مثل السعودية والعراق في الاستفادة من فائض الثروة البشرية في بعض البلاد العربية في زراعة أرضها وإقامة قاعدة صناعية لابأس بها فهل يجيء اليوم الذى يتحقق فيه التكامل السكانى بين كل شعوب الأمة الإسلامية؟

- الاعتماد على الذات في تمويل مشروعات التنمية، ومن اليسير توفير هذا التمويل من خلال تلك الدول الغنية بالبترول .. إننا ندرك أن بعض هذه الدول تشارك بجهد كبير في المشروعات المختلفة في البلاد الفقيرة ولكننا نطالب بتخصيص دولار عن كل برميل بترول يستخرج من الأبار الإسلامية ووضع الحصيلة في حساب خاص بأحد البنوك الإسلامية يخصص لتمويل مشروعات التنمية حسب الدراسات الاقتصادية التى تتم في هذا الشأن، وهناك مصدر أخر لتمويل مشروعات التنمية بتخصيص جزء من النفقات العسكرية التى تنفق على الأسلحة والتى كثيراً ما تستخدم للتقاتل بين الشعوب الإسلامية.

- فتح أبواب الهجرة والتنقل أمام الشباب بين كافة البلاد الإسلامية سواء كانت في سبيل الدعوة أو سبيل العلم أو العمل.

يقول تعالى:

﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيرة وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت فقد وقع

أجره على الله ﴾[٢٥٧].

- إقامة سوق إسلامية مشتركة تستثمر طاقات أبناء الآمة وتتولى تصريف منتجاتها بما يضمن حمايتها من المنافسة الأجنبية وخصوصاً في المراحل الأولى للتنمية.

- الالتزام بنمط استهلاكي خاضع للقيم الإسلامية وغير مقلد للمجتمعات الأخرى.. هذا النمط يحرم الإسراف ويحرم التبذير، ويمنع مظاهر البذخ والتفاخر ويدفع للتكافل والتراحم الانفاق في المجالات غير المشروعة.

- إنشاء هيئة مالية لإستثمار الأموال الإسلامية .. إن الارصدة الضخمة لبعض البلاد الإسلامية والتى تستثمر في الهيئات الأجنبية تستطيع أن تلعب دوراً هاماً في إنجاح مشروعات التنمية لو أن جزءاً منها استثمر في مشروعات تنموية داخل البلاد الإسلامية من خلال هيئة مالية تعمل وفق الأحكام الإسلامية بعيداً عن الاستثمارات الربوية والمستغله.

ثانياً: التحرر من التبعية الأجنبية بأشكالها المختلفة

- من الظواهر السلبية الموجوده في كثير من البلاد الإسلامية كثرة استخدام الخبرات الأجنبية للعمل في مشروعات التنمية، وهذه الخبرات بالإضافة إلى تكلفتها الغالية فهى تفرض نمط التنمية السائد في بلادها الأصلية على المجتمعات الإسلامية بما تحمله من قيم هابطة وسلوكيات فاسدة.. ولا حل لتحقيق تنمية إسلامية بدون الاعتماد على الخبرات المحلية.

---

(٢٥٧) سورة النساء الآية ١٠٠.

- يلحق بالظاهرة السابقة أن معظم الشركات العاملة في مجال الكشف عن البترول والثروات المعدنية والمواد الخام في البلاد الإسلامية هى شركات أجنبية وهى تحصل على نصيب الأسد في هذه الاكتشافات بالإضافة إلى ما تفرضه على البلاد الأصلية من إمتيازات مثل السكن ونظام العمل والمعاملة المتميزة مما يمثل استغلالا وإجحافاً بحقوق المواطنين الأصليين.

ولا أعتقد أن البلاد الإسلامية ستكون في حاجة حقيقية إلى مثل هذه الشركات لو أنها حققت التكامل السكانى بين أبنائها وأتاحت الفرصة للقوى الإسلامية الفرصة لارتياد هذه المجالات.

- تمثل المعونات الأجنبية التى تتلقاها البلاد الإسلامية من الشرق والغرب مأساة مخزية..

تفرض عليها التبعية والذلة والاستكانة للقوى المانحة.. إن الأمة الإسلامية التى تدعو شريعتها إلى الكرامة والعزة تمد يدها في انتظار ما يجود به غيرها متجاهله مبدأً أساسياً في دينها «اليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى».

والعجيب أن هذه المعونات أصبحت تمثل جزءاً هاماً في اقتصاديات بعض البلاد الإسلامية تبنى عليه سياستها وخططها حتى أصبحت سيفاً مسلطاً عليها.. فهى مهدده بقطع هذه المعونات إذا خرجت عن الدائرة المرسومة لها في حركتها السياسية أو الاجتماعية.. وهذه ظاهره خطيرة يجب التصدى لها لأن من لايملك قوته لايمكن أن يملك حريته.

في المجال السياسى

أولاً: الإسلامية في مواجهة الرأسمالية:

في ظل النظام العالمى الجديد أصبح العالم محكوماً بقوة واحدة هى قوة الرأسمالية.. وقد أدى هذا كما نرى إلى طغيان هذه القوة.. وتركز هذا الطغيان على البلاد الإسلامية ومن ثم فلا حل أمامنا للبقاء في هذا العالم إلا بوجود قوة إسلامية تعيد التوازن للعالم، وتوقف جبروت الرأسمالية وهذا يفرض علينا:

- أن نزيل عن عيوننا غشاوة الإقليمية والقومية والشعوبية ونفكر بمنطق الإسلام ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[٢٥٨].

- أن نرفض المذاهب المستوردة باعتبارها دخيلة على المجتمع الإسلامى ولاتتفق مع قيمه ومبادئه.

- أن نعيش مؤمنين بالمبدأ الإسلامى وهو أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ونعمل على ترسيخه وتوطيد دعائمه.

إن مقومات هذه القوة موجودة في أكثر من مليار مسلم في كافة أنحاء العالم، وفي ثروات طبيعية ومادية ضخمة، وفي طاقة روحية قادرة على تجميع الأجناس البشرية، وكم هائل من القيم والمبادئ التى تسمو بالحياة والمجتمع، وفي خبرات مكتسبة من حضارات السنين العظيمة والتراث الهائل.

كل هذه مقومات إيجابية لتحقيق هذا الهدف إلا أنها تضيع تحت أنقاض الأنانية وحب السلطة والزعامات الوهمية والصراعات المادية

---

(٢٥٨) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

الزائلة وعدم وجود قيادة قادرة على تجميع هذه الطاقات من أجل صالح المسلمين.

ثانياً: البحث عن صيغة جديدة للديمقراطية

إن النماذج والأشكال المختلفة للديمقراطية والتى طبقت في المجتمعات الإسلامية سواء كانت غربية أو شرقية حتى إذا كانت قد حققت التقدم في المجتمعات التى ولدت فيها فقد فشلت فشلاً ذريعاً في معظم البلاد الإسلامية التى أخذت بها.. لأنها كانت بعيدة عن واقع هذه المجتمعات فلم يحدث التوافق بين المبادئ والواقع فتحولت إلى نظريات مجرده يتجادل الناس حولها بدلاً من أن يعملوا على تحقيقها.

إن المطلوب الآن هو صيغة جديدة مهما كان مسماها ذات أصل إسلامى تقوم على:

- إيمان مطلق بالله وشرعه ومنهجه
- معايير خلقيه نابعه من داخل المجتمع الإسلامى
- بعث التراث الحضارى الإسلامى الأصيل والوصول إلى جوهره
- الإيمان بالعلم والعمل وأنهما طريقا التنمية الصحيحة
- الصدق مع النفس ومع المجتمع
- الانفتاح على الحضارات والتفاعل معها بما يخدم قضايا التنمية والتقدم.
- الإيمان بضرورة الوحدة الإسلامية لتحقيق التنمية الشاملة.

في المجال الاجتماعى

١- التركيز على الجانب المعنوى في التنمية الإجتماعية وهو ما يتصل بالقيم والسمات والعادات والتقاليد وأخلاقيات التعامل.. لضمان تحقيق التوازن بين الجانبين المادى والمعنوى.

٢- التصدى للقيم والاتجاهات السلبية التى تعوق التنمية والتى يخلط البعض بينها وبين القيم الإسلامية وهذا يتطلب من علماء الاجتماع المسلمين تمحيص هذه القيم وفرزها وإظهار مخالفتها لأحكام الإسلام وشريعته.

٣- تنمية روح الولاء للمجتمع.. وهذا الولاء يجب أن يكون قائماً على أساس إسلامى وعلى معايير خلقية تؤمن بأن حب الوطن من الإيمان.. وأن العمل من أجل نهضة الأمة الإسلامية هو فرض على كل مسلم وأن المؤمنين في كل مكان كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

إن الولاء للمجتمع الإسلامى ككل هو الهدف الأسمى الذى يجب أن نغرسه في نفوس الأجيال.. أما الولاءات القبلية والطائفية والمذهبية فهى ولاءات مرفوضة في ظل مفاهيم التنمية الشاملة للمجتمعات الإسلامية..

٤- التصدى للجهل والآمية

الآمية مشكلة عامة تواجه معظم البلاد الإسلامية وتعرقل مسيرة التنمية فيها.. والآمية لاتعنى فقط عدم معرفة القراءة والكتابة ولكنها تعنى عدم القدره على مجاراة المجتمع في ميادين العمل المختلفة ومن الملاحظ أن نسبة الآمية في العالم الإسلامى تزيد عن ٥٠٪ مما يجعل خطط التنمية تعجز عن تحقيق أهدافها المرجوة.

إن اللحاق بركب التقدم يفرض علاج هذه المشكلة بشكل حاسم وسريع، لايكتفى بالمسكنات والإحصاءات الورقية- وإنما يجب البحث عن جذور المشكلة وتشريحها، وهذه مسئولية خطيرة يجب أن تجند لها كل القوى إن أريد للأمة الإسلامية أن تنافس في عصر الثورة التكنولوجية والعلمية.

في المجال الثقافي

أولاً: الوحدة الفكرية:

المفكرون المسلمون مطالبون بإيجاد حد أدنى من الوحدة الفكرية يتم الاتفاق عليه بين جميع القوى الإسلامية بما يضمن التخفيف من حدة الصراعات والنزاعات الطائفية والعرقية والمذهبية - إن مباديء الإسلام واضحة ومحدده وقيمة السامية تدعوا إلى الوحدة والتماسك والاعتصام بحبل الله لكن القوى الاستعمارية التى ترى أن الإسلام خطر على أهدافها ووجودها تحاول تقوية النغرات القبلية والمذهبية بين المسلمين، مما يؤدى إلى هذه الحروب الدامية والمستمرة بين معظم شعوب العالم الإسلامى.. إننا يجب أن نؤمن:

أن أحكام الدين الإسلامى في مجال تنظيم الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للمسلمين قادرة على حل مشاكل العصر والتصدى لمشكلات التخلف والتنمية ولايحتاج الأمر أكثر من الإجتماع حولها والعمل بإخلاص من أجل وضعها موضع التطبيق.

ثانياً: التمسك بالأصالة والحفاظ على القيم الأخلاقية والروحية

إن وجود نسق متماسك من القيم الروحية والأخلاقية يحول دون إنحدار المجتمع إلى الفوضى، فحين تستتب القيم الأخلاقية يستطيع الناس حكاماً ومحكومين الإلتزام بالواجب والتشبث بالفضائل مثل العدل والشجاعة والعفة والنزاهة والأمانه..ألخ، وإذا افتقر المجتمع إلى مثل هذه الآسس انتشرت فيه العلل والأمراض الاجتماعية والإدارية مثل الرشوة والمحسوبية والاختلاس والكسب غير المشروع..إلخ.

وقد اثبت التاريخ أن الحضارات التى قامت على أساس غير قيمى كان مآلها الزوال والانهيار رغم ما تملك من قوى مادية ضخمة.

ثالثاً: الانطلاق بالعلم والتقنية الحديثه

اليقين بأن العلم هو الطريق إلى التقدم دعوة مفروضة في النظام الإسلامى.

﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[٢٥٩].

والانفتاح على التقنيات الحديثة أياً كان مصدرها لايتعارض مع أحكام هذا الدين الحنيف، المهم هو تطويع هذه التقنية وجعلها في خدمة القواعد والأحكام الإسلامية.

في المجال الإدارى

١- من بين عشرات النظريات والمدارس التى عرضها الفكر الإدارى حتى الأن، لاتوجد نظرية إسلامية ذات ملامح محدده يمكن تطبيقها في المجتمعات الإسلامية رغم غنى المنهج الإسلامى بالقيم والمبادئ والآسس التى تصلح أساساً لأرقى النظم الإدارية إن أحدث ما وصل إليه الفكر الإدارى الحديث وهو الإدارة بالنظم إنما يستمد أصوله من السنة النبوية وإن أول من نبه الأذهان إلى أهمية العلاقات الإنسانية في مجالات العمل والإنتاج هو الفكر الإسلامى، لهذا فإن على المفكرين الإسلاميين مهمة شاقة وهى البحث عن جذور الفكر الإدارى في القرآن والسنة وإبرازه ووضعه في إطار يمكن الاستفادة منه كمنهج علمى يدرس في المدارس والجامعات الإسلامية ومنهج عملى يطبق في إدارة المجتمعات الإسلامية.

ولقد حاولت تقديم بعض ملامح هذه النظرية تحت عنوان (الإدارة بالقيم) أشرت إلى بعضها في أحد فصول هذا البحث.. وأواصل جهدى فيها من خلال كتاب تحت عنوان "القيم الإسلامية والفكر الإدارى" لكن

---

(٢٥٩) سورة الزمر : الآية ٩ .

هذه المهمة تتطلب تضافر جهود عديده تضم فريق عمل يجمع بين الثقافة الإسلامية والثقافة الإدارية، ويملك القدره على البحث الدءوب والرغبة في كسب رضاء الله سبحانه وتعالى.. ولعل ذلك يتحقق قريباً.

٢- تحقيق التنمية الإدارية يتطلب تنمية القيادات الإدارية وتنمية التنظيمات الإدارية وتنمية النظم الإدارية على أسس من القيم الإسلامية النبيلة.. لأن هذا هو الضمان الآساسى لتحقيق تنمية شاملة بمعدلات عالية وبمفاهيم إسلامية.

٣- عوامل الفساد التى نخرت في عضد الأجهزة الإدارية في البلاد الإسلامية، والتى تمثلت في الصراعات المستمرة على السلطة وإهدار الإمكانيات المتاحة، والاعتماد على غير الكفاءات في العمل الإدارى..ألخ

كل هذه العوامل أدت إلى وجود تنظيمات إدارية عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات التطور والتنمية ولاسبيل أمامنا غير الثورة على هذا الفساد وبدء صفحة جديدة من العمل الهادف النبيل لوجه الله ومصلحة الشعوب الإسلامية.

إن تحقيق هذه الأهداف يتطلب وضع خطة شاملة للتنمية تنقسم إلى مراحل زمنية:

المرحلة الأولى:

ويتم فيها وضع أسس التنمية في المجالات المختلفة والوصول إلى المناهج الإسلامية الضرورية لتحقيق التنمية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهذه المرحلة يقع فيها العبء على المفكرين والعلماء والمتخصصين في مجالات الفكر الإسلامى.

وفي هذه المرحلة يجب الوصول إلى:

- الحد الأدنى من الوحدة الفكرية بين الشعوب الإسلامية في مجال التنمية الثقافية.
- الاتفاق على الصيغة الديمقراطية التى تقوم عليها التنمية السياسية.
- وضع ملامح نظرية التنمية الإدارية وتحديد إطارها.
- تحديد إطار وشكل الهيئة التى تتولى استثمار الأموال الإسلامية في مجالات التنمية المختلفة.
- وضع الدراسات اللازمة لإنشاء السوق الإسلامية.
- وضع الدراسات اللازمة لتحقيق التكامل بين الشعوب الإسلامية.
- الاستفادة من كافة الدراسات والأبحاث السابقة في هذا المجال.

المرحلة الثانية:

ويتم فيها التركيز على بعض الأهداف التى تمثل البنية الأساسية للتنمية.. وفي هذه المرحلة يجب الوصول إلى:

- المصادر التى ستتولى تمويل التنمية في البلاد الإسلامية.
- القيادات الإدارية التى تقود عمليات التنمية وتدريبها وإعدادها.
- الخبرات والكوادر الفنية اللازمة لتحقيق تنمية إسلامية كبديل للخبرات الأجنبية التى سيتم الإستغناء عنها.
- الأجهزة والمعدات والتقنيات الحديثة اللازمة للتنمية في كافة مجالاتها.
- الهيكل الإدارى ونظم الأدارة اللازمة للتنمية.

المرحلة الثالثة:

وفيها يتم :

- البدء في الخطوات التنفيذية لإنشاء السوق الإسلامية.
- البدء في الخطوات التنفيذية لإنشاء هيئة الاستثمار الإسلامية.
- التخلص من العمالة الأجنبية وإحلال الخبرات الإسلامية محلها بما يتطلبه ذلك من فتح أبواب الهجرة وتحقيق التكامل بين الشعوب الإسلامية.

- إنشاء قيادة مركزية تقود عمليات التنمية تتبعها إدارات فرعية في كل البلاد الإسلامية.

- بناء الجهاز الإدارى على أساس من القيم الإسلامية وإتاحة الفرصة أمامه للعمل بأسلوب علمى مخطط.

علماً بأن هذه المراحل متصلة ومتداخلة ويجب العمل فيها معاً دون أن تنتظر كل مرحلة انتهاء سابقتها إذ أن التنفيذ يتم متوافقاً في المراحل الثلاث.

وبعد:

هذه ليست إستراتيجية نهائية- تحددت معالمها - إنها مجرد رؤية على الطريق مطلوب استكمالها وتدعيمها بالرؤى الأخرى للمفكرين المسلمين - كل من زاوية تخصصه واجتهاده.. إننا مطالبون بالعمل والجهد، وعلى الله التوفيق والرشاد..

المراجع

١- القرآن الكريم

٢- المنتخب من السنة، وزارة الأوقاف المصرية- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٣- الامام ابى عبيد القاسم بن سلام: غريب الحديث -مراجعة د./حسين محمد شرف، د./محمد مهدى علام- مجمع اللغة العربية - القاهرة سنة ١٩٨٩.

٤- المعجم الكبير -مجمع اللغة العربية- الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢.

٥- معجم العلوم الاجتماعية -تصدير ومراجعة الدكتور ابراهيم مدكور- الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥.

٦- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى - مقدمة ابن خلدون- دار الكتب العلمية ببيروت- الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٨.

٧- ابن هشام: أبو محمد عبد الله هشام المعافرى السيرة النبوية تعليق طه عبد الرؤوف مطبعة عبد السلام بن محمد القاهرة.

٨- أبو عبيد القاسم بن سلام (الأموال) تحقيق محمد خليل هراس دار الفكر العربى الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥م القاهرة.

٩- أبو يوسف يعقوب بن أبراهيم بن حبيب بن خنيس (الخراج) تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، د. احمد ابراهيم أبو سن - دار الصلاح- القاهرة.

١٠- البخارى: محمد اسماعيل بن ابراهيم البخارى (صحيح البخارى) المطبعة الشرقية الطبعة الأولى سنة ١٣٠٤هـ.

١١- البلازرى: أبو الحسن البلازرى (فتوح البلدان) تعليق رضوان محمد رضوان المكتبية التجارية الكبرى- الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢م (القاهرة).

١٢- السيوطى: جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (تاريخ الخلفاء) دار مصر للطباعة- المكتبة التجارية الكبرى- القاهرة سنة ١٩٦٩م.

١٣- الماوردى: أبو الحسين على بن محمد البغدادى- الأحكام السلطانية والولايات الدينية- مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى- الطبعة الثالثة القاهرة سنة ١٩٧٣م.

١٤- عز الدين بلبق - منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمراسلين دار الفتح بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨م.

١٥- محمد عبده- منهج البلاغة دار المعارف- بيروت.

١٦- ابن تيمية - السياسية الشرعية في اصلاح الراعى والرعية- تعليق محمد عبد الله السلمان - مكتبة المثنى ببغداد.

١٧- معجم علم النفس والتربية- مجمع اللغة العربية- وضع لجنة علم النفس والتربية بالمجمع- القاهرة سنة ١٩٨٣.

١٨- د. أحمد عبد العزيز سلامه -د. عبد السلام عبد الغفار:- علم النفس الاجتماعى دار النهضة العربية- القاهرة سنة ١٩٨٠.

١٩- د. عبد الرحمن محمد بن عيسى -دراسات سيكلولوجية دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨١م.

٢٠- د. لويس كامل مكيلة - سيكلوجية الجماعات والقيادة الهيئة المصرية العامة للكتاب -القاهرة سنة ١٩٨٩م.

٢٢- د. سيد محمد غنيم -سيكلوجية الشخصية -دار النهضة العربية- القاهرة بدون تاريخ.

٢٣- د. نجيب أسكندر وأخرين -الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى -دار النهضة العربية- الطبعة الثالثة- القاهرة- بدون تاريخ.

٢٤- د. مصطفى سويفى - الأسس النفسية للتكامل الاجتماعى - دار المعارف الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١م.

٢٥- د. حسن محمد خير الدين -العلوم السلوكية- مكتبة عين شمس- القاهرة سنة ١٩٨١م.

٢٦- د. محيى الدين حسين -التنشئة الأسرية والأبناء الصغار - الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م.

٢٧- د. ابراهيم درويش -التنمية الإدارية دار النهضة العربية - الطبعة الرابعة- القاهرة سنة ١٩٨٢م.

٢٨- د. على السلمى -تحليل النظم السلوكية - مكتبة غريب بدون تاريخ.

٢٩- د. السيد عليوة -صنع القرار السياسى في منظمات الإدارة العامة -الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م.

٣٠- د. على السلمى -التخطيط والمتابعة مكتبة غريب سنة ١٩٧٧م.

٣١- د. عبد الحميد بهجت - الادارة العامة (مذكرات مقررة على طلبة كلية التجارة بجامعة أسيوط).

٣٢- أ. أحمد عبد العظيم محمد -نحو منهج إسلامى في الفكر الإدارى - المؤسسة العربية الحديثة- القاهرة سنة ١٩٨٨م.

٣٣- د. منصور فهمى - إدارة الافراد العلاقات الإنسانية -مطبعة الشعب -القاهرة سنة ١٩٧٦م.

٣٤- المستشار عمر الشريف -نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية مطبعة المدنى القاهرة سنة ١٩٨٢م.

٣٥- د. مصطفى محمد موسى -التنظيم الإدارى بين المركزية واللامركزية -الهيئة المصرية العامه للكتاب ١٩٩٢م.

٣٦- د. عبد الفتاح حسنين العدوى -الحكم بين السياسة والأخلاق -الهيئة المصرية العامة للكتاب -القاهرة سنة ١٩٩٢م.

٣٧- د. محمد ممدوح على العربى - الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامى والليبرالى والماركسى - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٢م.

٣٨- عصام الدين حواس - إستراتيجية بناء الإنسان -الهيئة المصرية العامه للكتاب -القاهرة سنة ١٩٨٠م.

٣٩- د. على حسن الخربوطلى - تاريخ العالم الإسلامى -دار نافع للطباعة - القاهرة سنة ١٩٧٦م.

٤٠- د. عبد الشافى على جابر - تاريخ الفقه الإسلامى -الجزء الأول -كلية الشريعة والقانون بأسيوط- جامعة الأزهر سنة ١٩٨٩م.

٤١- د. سمير فرج -الولاء بين علم النفس والقرآن - المتحدة للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٨٩م.

٤٢- أمينة الصاوى، د. عبد العزيز شرف - رجاء جارودى وحضارة الإسلام مكتبة مصر القاهرة ١٩٧٧م.

٤٣- د. أنور الجندى -منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية دار الاعتصام سنة ١٩٨١م.

٤٤- عباس العقاد -عبقرية عمر الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية القاهرة سنة ١٩٨٠م.

٤٥- عثمان أمين -رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده سلسلة أعلام الإسلام -دار أحياء الكتب العربية -القاهرة سنة ١٩٤٢.

٤٦- فتحى يكن -ماذا يعنى أنتمائى للإسلام -مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

٤٧- أبو النصر مبشر الطرازى الحسينى -نبذة من السيرة النبوية - الشركة المصرية للطباعة والنشر (سلسلة مجمع البحوث الإسلامية) سنة ١٩٧٢.

٤٨- خلف محمد الحسينى -البيان في منهاج الإسلام -الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م.

٤٩- د. على عبد الواحد - الحرية في الإسلام -الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية -القاهرة سنة ١٩٨٩م.

٥٠- حسن الهضيبى - إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم -دار الانصار - القاهرة بدون تاريخ.

٥١- الشيخ محمد متولى الشعراوى - معجزة القرآن سلسلة كتاب اليوم - مؤسسة الاخبار القاهرة سنة ١٩٨٧م.

٥٢- د. على السالوسى - البنوك الاستثمارية - مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤١١هـ.

مراجع أجنبية

١- تشستر بارنارد - وظائف الرؤساء - ترجمة كمال الدسوقى دار الفكر العربى القاهرة - بدون تاريخ.

٢- ستيفن ر. كوفى - العادات السبع لاكثر الناس إنتاجية - لندن سنة ١٩٩٢.

٣- روبرت روى - الإدارة - ترجمة د. محمد صبرى العطار - القاهرة.

٤- أتين دى لابوسيه - مقال في العبودية المختارة - ترجمة د. مصطفى صفوان الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢م.

بحوث ودراسات

١- التوجيه الاجتماعى في الإسلام - من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية.

٢- التوجيه التشريعى في الإسلام - من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية.

٣- أحمد عبد العظيم محمد - المنهج الإسلامى في إصلاح الخلل الاقتصادى - بحث غير منشور.

٤- محمد بن ناصر الحجرى - دور الدولة في التنمية الاقتصادية - رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الاقتصاد جامعة القاهرة.

المحتويات

	الصفحة
المقدمة	٩
التنمية ** والتنمية الشاملة	١١
الفصل الأول	
• **القيم الإسلامية والتنمية السياسية:**	١٥
ملامح التخلف في النظم السياسية التنموية في العالم الإسلامي.	١٧
القيم التى يجب مراعاتها عند التخطيط للتنمية السياسية.	١٩
القيم التى يجب مراعاتها عند اختيار قيادات العمل السياسي.	٢٥
القيم التى يجب مراعاتها في المؤسسات القائمة على أمر التنمية السياسية.	٢٦
مفاهيم خاطئة يجب اسقاطها من مسيرة التنمية السياسية	٢٩
الفصل الثاني:	
• **القيم الإسلامية والتنمية الاقتصادية:**	٣٣
أولاً: ثروات العالم الإسلامي.	٣٥
منظومة القيم الإسلامي في التنمية الاقتصادية	٤٦
الفصل الثالث:	
• **القيم الإسلامية والتنمية الاجتماعية**	٦٩
ميادين التنمية الاجتماعية	٧١
المفهوم الإسلامي للتنمية الاجتماعية	٧١
القيم الإسلامية وتنمية روح الولاء للمجتمع	٧٦

تابع المحتويات

الصفحة

قيم غير إسلامية يجب اسقاطها من مسيرة التنمية الاجتماعية ٧٩

الفصل الرابع:

- **القيم الإسلامية والتنمية الإدارية** ٨٧

تعريف التنمية الإدارية ونظرياتها ٨٩

تنمية القيادات الإدارية ٩٠

تنمية التنظيمات الإدارية ٩٧

تنمية النظم الإدارية ١٢١

الفصل الخامس:

- **التنمية الثقافية والقيم الإسلامية:** ١٤٧

التخطيط الثقافي ١٤٨

الغزو الثقافي والقيم الإسلامية ١٦١

الفصل السادس:

- **ملامح إستراتيجية للتنمية الشاملة في ظل القيم الإسلامية** ١٦٣

الأهداف الإستراتيجية للتنمية الشاملة ١٦٥

مراحل الخطة الشاملة للتنمية في المجتمعات الإسلامية ١٧٤

المراجع ١٧٧

محتويات الكتاب ١٨٣

مؤلفات تحت الطبع

- التخطيط للهجرة النبوية بين المبادئ العلمية والاسهامات الربانية

- **أبحاث فائزة بجائزة المجلس الأعلى للشباب والرياضة:**
  - الشخصية الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع
  - دور الشباب في تنمية المجتمع
  - سيناء والأمن القومى المصري

- **أبحاث فائزة بجائزة وزارة الأوقاف المصرية:**
  - المنهج الإسلامي واصلاح الخلل الاقتصادي
  - القيم الإسلامية في الفكر الإدارى

- فاز بالمركز الأول في المسابقة الدينية التى تنظمها إدارة الشئون المعنوية بالقوات المسلحة (العاشر من رمضان) وكان له شرف الحج ضمن البعثة الرسمية سنة ١٩٨٠م كجائزة عن هذا الفوز.

تعريف بالمؤلف

أحمد عبد العظيم محمد – كاتب وباحث إسلامي من مواليد الحما منفلوط – أسيوط ١٩٥٣م.

بكالوريوس تجارة – إدارة أعمال ١٩٧٥م

دبلوم دراسات إسلامية ١٩٨٠م.

كتب في العديد من الصحف والمجلات (المساء – الوفد – النور – الحقيقة – الثقافة الجديدة – الحياة اللندنية – المجلة العربية الدولية).

معد برامج معتمد من الاذاعة له أبحاث منشورة منها: القيم الإسلامية والتنمية الثقافية.

الثقافة العربية بين الانطلاق والاخفاق.

الاستثمار الثقافى والصناعات الثقافية.

صدرت له الكتب التالية:

مسلمون ولكن دار النجاح ١٩٨١م

نحو منهج إسلامي في الفكر الإدارى المؤسسة العربية الحديثة ١٩٨٨

أصول الفكر الإدارى في الإسلام مكتبة وهبه ١٩٩٤

رقم الايداع: ٩٧/٩٧٨٣

الترقيم الدولي: ٢-٠٦٠-٢٢٤-٩٧٧

طبعت بمطبعة مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي
جامعة الأزهر - ت: ٢٦١٠٣٠٨